19me, année No 930
الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique
Le Caire 30 — 4 — 1951
بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
العدد ٩٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٧٠ — ٣٠ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

قاسم أمين*

أول ديسمبر سنة ١٨٦٣ — ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٨

بمناسبة ذكراه السنوية

فى مثل هذا اليوم من عام ثمانية وتسعمائة وألف انتقل إلى دار البقاء المصلح العظيم قاسم أمين بعد أن قضى فى هذه الحياة أربعا وأربعين سنة يستعد للكمال النفسي الذى تهيأ له بفطرته، ويدعو إلى الكمال الإنسانى الذى اتجه إليه بفكرته. وكانت الفترة التى نشأ فيها بعد هزيمة المصريين وانتصار المحتلين أشبه شىء بالفترة التى تأخذ من أواخر الشتاء وأوائل الربيع، فيها الخدر والبرد والجدب، ولكن فيها أطرافا من الحس والدفء والخصوبة؛ فالشعب كان يعانى من عواقب الأزمان السود التى أتت عليه، ومن رواسب الأجناس السوء التى عاثت فيه، ألوانا من الجهل والذل والفوضى جملته يستكين لعوامل الفساد فى الخلق والعقيدة والثقافة والمجتمع. فالحكم أهواء وشيع، والدين أوهام وبدع، والعلم قشور ومسخ، والأدب تقليد وزخرف، والرجال آلات للعمل والانتاج، والنساء إماء للخدمة والمتاع، والسلطان المحتل يصرّف أمورنا على مشيئته، والمال الأجنبي يستغل مواردنا لمنفعته. وكانت البراعم التى بكرت إليها حياة اربيع فتفتحت عن الشعور والوعى تتمثل فى الرواد الأولين: جمال الدين، ومحمد عبده، ومصطفى كامل، وسعد زغلول، وقاسم أمين، ولطفى السيد، وعبد العزيز فهمى، فشعروا أول الناس بالأدواء التى قعدت بالأمة عن النهوض، لجاهد كل منهم وقاد فى الميدان الذى خلق له وظهر فيه

ومما عمّق فيهم هذا الشعور وقواه، نبوغ أكثرهم فى القانون والأدب، وتفوق بعضهم فى الدين والفلسفة، وأخذهم بنصيب من ثقافة الغرب، واتصالهم بأقطاب الفكر فى فرنسا وإنجلترا، ووقوفهم على تلك الحملة المنكرة التى شنها أبالسة الاستعمار على مصر والعرب والإسلام، فنهض جمال الدين لإرنست رينان، ومحمد عبده لهانوتو، وقاسم أمين لدوق داركور، فدافعوا بالحجج الملزمة مالفقوا من أباطيل وأنكروا من حقائق. فلما بلغوا المآخذ التى أخذها الخصوم علينا بالحق، حلمهم الإباء القوى على أن يأخذوا عليهم أشباهها فى مجتمعاتهم ومعتقداتهم، كالمقابلة بين تعدد الزوجات هنا، وتعدد الخليلات هناك. ولكن هذا الإباء القوى نفسه حملهم كذلك على النظر فى تطهير الشرق من هذه المآخذ، بتصحيح الزائف، وتقويم المعوج، وتقييد المطلق، فمضى كل زعيم يتحرى وجوه الإصلاح

---

* الكلمة التى ألقيت فى احتفال الاتحاد النسائى بذكرى قاسم امين

والتحرر فى الوطن ، أو فى الدين ، أو فى الفكر ، أو فى الأدب ، أو فى القضاء ، أو فى الرجل ، أو فى المرأة ، على حسب استعداده وطبيعة نفسه

* * *

كانت رسالة قاسم إصلاح المجتمع فى نواحيه المختلفة . وما كان فى خلقه ولا فى طوقه أن تكون رسالته غير ذلك . كان حيي الوجه ، يحتشم إذا لاقى ، ويتفضى إذا حدَّث ، ويعف إذا جادل . وكان عطوف القلب ، يدين بالصداقة ، ويتخلق بالرحمة ، ويواصل بالمودة . وكان رقيق الشعور ، يكلف بالأدب ، ويطرب للغناء ، ويعجب بالجمال . وكان عصبي المزاج ، ينفعل انفعال الفنان ، وينبسط انبساط المؤمن ، وينقبض انقباض الناسك . وكان محببا إليه العشرة ، يخالط كل طبقة ، ويسبر كل حالة ، ويرقب كل حادث . وكان واسع المعرفة والخبرة ؛ يتقصى طبائع الشعوب ، ويدرس أحوال الأمم ، ويتعرف دخائل النفوس . وهذه هى جل الصفات التى يجب أن تكون فى المصلح الاجتماعى ليكون بينه وبين مجتمعه تجاوب فى الشعور والفكر

عُنى قاسم رضوان الله عليه بإصلاح المجتمع المصرى وهو فى سن العشرين منذ قرأ كتاب داركور ورد عليه فى عام ١٨٩٤ ، فكتب فى جريدة المؤيد تسع عشرة مقالة أكثرها بعنوان (أسباب ونتائج) وبعضها بعنوان (حكم ومواعظ) عالج فيها أدواء المصريين فى الاقتصاد والوقف والتربية والتعليم والأسرة والوظيفة علاجا لا يزال المصلحون يصفونه ويكررونه ، لأنه جمع أكثر العناصر الفعالة فى حسم الداء وبرء المريض . وقلما تجد كاتبا يعرض اليوم لهذه المسائل ولا يقع على خطاه ، أو يوافق على ما ارتآه

كان هذا المفكر العظيم يكتب عن إيمان وصدق . لا يكتب رغبة فى الكتابة ، ولا ينشر طمعا فى الشهرة ؛ إنما كان ينشر مقالته فى الصحف من غير إمضاء ، ويرسل فكرته فى الناس من غير ضوضاء ، ثم لا يعنيه إلا أن يراها تصيب الغرض الذى قصده ، وتحدث الأثر الذى أراده

وكان صاحب رأى وعزمة ، يقول ويفعل ، ويفكر ويدبر . فإذا قرأنا رأيه فى كتابين قيمين : تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، فقد رأينا عزمه فى عملين عظيمين : الجمعية الخيرية الإسلامية ، والجامعة المصرية

وكان ينفذ ببصره وفكره إلى طوايا المجتمع فيرى بقوة لحظه وحدة ذهنه دقائق وتفاصيل لا يدركها النظر العادى . ومزية الكاتب الموهوب أن يُرينا ما لم نر ، ويقفنا على ما لم نعلم ، ويصور لنا ما لم نتصور ، وفى كلمات قاسم أمين المنشورة آيات من الحوار والتصوير مثل بهما طرفا من نقائص المصر تمثيلا دل على ملكة أصيلة فى الأدب ، وقريحة سخية فى الكتابة . نقرأ له مثلا هذا الحوار القصير :

سئل ح . بك : ما رأيك فى كتاب تحرير المرأة ؟

فأجاب : ردئ !

— هل قرأته ؟

— لا !

— أما يجب أن تقرأه قبل أن تحكم عليه ؟

— ما قرأت ولا أقرأ كتابا يخالف رأيى !

ونقرأ له هذه الصورة الناطقة لجنازة من جنائز العامة :

« هؤلاء الفقهاء الذين يجر بعضهم بعضا ، وليس فيهم إلا الأعمى والأعرج والأعور ، يمشون بسرعة غير منتظمة ، لابسين ثيابا قذرة ، صائحين بأصوات مزعجة ، كلمات تخرج من حناجر مختلفة بنغمات شنيعة ؛ وهذا النعش المحمول الذى يتخبط فيه الميت ، ويلتفت تارة إلى جهة اليمين ، وتارة إلى جهة الشمال ؛ وهؤلاء النسوة اللاتى صبغن أيديهن ووجوههن ، وعفرن بالتراب رؤوسهن ، يمشين وراء النعش مشيرات بالمناديل إليه إشارات مروعة مصحوبة بألفاظ مرتلة ! ما هذا كله ؟ أجمع مجانين ، أم نفر بهم مس من الشياطين ؟ ألعوبة أطفال ، أم معرض كرنفال ؟ »

نقرأ ذلك الحوار ، ثم نقرأ هذه الصورة ، فنعتقد أن لو مد الله فى أجل قاسم لعالج عيوب المجتمع بالرواية كما فعل (موليير) ، أو بالصورة كما صنع (لابروبير) . والأدب العالى والأسلوب البليغ أخص صفات المصلح وأقوى أدوات الإصلاح ؛ وحظ قاسم منهما كان موفوراً . وكما يتعهد الجندى سلاحه ، كان قاسم يتعهد اللغة والأدب ، فرأى فى أصالة الأسلوب ، واستعمال المترادف ، ومعضلة الكتابة العربية ، ومشكلة اللغة العامية ، وصعوبة

الإعراب ، وفتح باب الاجتهاد فى اللغة ، آراء لم تجر على بالنا إلا اليوم ! والصفحات الستون التى جمعت (كلمات قاسم أمين) الموجزة فى الأدب والاجتماع ، أمثلة خالدة من عمق التصور ودقة التصوير

نعم ! عنى قاسم أمين بإصلاح المجتمع المصرى فى خلقه وعاداته ، ونظمه واقتصادياته ، وتربيته وتعليمه ، ولغته وأدبه ، ولكنه رأى أن علة العلل فى فساده هى حال المرأة . والمرأة قوام الأسرة ، والأسرة نواة الأمة ؛ فإذا صلحت المرأة صلح الرجل ، وإذا صلح الرجل صلح المجتمع . والنساء نصف الشعب الذى يربى نصفه الآخر ؛ فإذا ظللن محجوبات جاهلات متعطلات ، ظل المجتمع رَيِّضا (١) لفقدانه تثقيف الأمومة ، غليظا لحرمانه تلطيف الأنوثة . يعمل بيد واحدة لأن الأخرى شلاء ، ويمشى على قدم واحدة لأن الأخرى عرجاء . وكانت المرأة فى عهد قاسم شيئا لا يذكر ، وإذا ذكر لا ينظر ؛ إنما كانت حبيسة المنزل ، تضرب عليها الحجب ، وتبث حولها العيون ، وتُقضى من دونها الأمور ، وينظر إليها الزوج نظره إلى الفراش الملق ، فلا يؤاكلها على مائدة ، ولا يجالسها فى بهو ، ولا يماشيها فى شارع ، ولا يشاورها فى شأن ، ولا يذكر اسمها إلا مكنيا عنه بالبيت أو الأولاد أو الجماعة . وكان من جريرة ذلك عليها أن وهن جسمها لقلة العمل ، وساء خلقها لفقد الحرية ، وضعف تفكيرها لترك التدبير ، وغفل ضميرها لعدم المسئولية ، فلم تفكر إلا فى حللها وحليها ، ومدافعة الضرائر والجوارى عن نصيبها من زوجها . لقد كانت خارجة عن دنيا الناس ، « فلم يبق لها من الكون — كما قال قاسم فى كتابه (تحرير المرأة) — إلا ما استتر من زوايا المنازل . واختصت بالجهل والتحجب بأستار الظلمات ، واستعملها الرجل متاعا للذة ، يلهو بها متى أراد ، ويقذف بها فى الطريق متى شاء . له الحرية ولها الرق . له العلم ولها الجهل . له العقل ولها البله . له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن . له الأمر والنهى وعليها الطاعة والصبر . له كل شيء فى الوجود ، وهى بعض ذلك الكل الذى استولى عليه »

بذلك تأثر قاسم ، وفى ذلك جاهد قاسم . فعرض القضية على وجوه المعقول والمنقول ، فلم يجد لاستعباد المرأة حجة إلا استبداد الرجل ، فجاءه من طريق الدين والمروءة والمصلحة وفى يديه كتاباه : تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، يزيف بهما حجته ، ويخفف غروره . وكان لابد لمن يخالف المألوف ويعارض الموروث ويصادم الواقع أن يلقى مالقيه المرسلون والمصلحون من عنت الجدل ولدد الخصومة . ولكن محرر المرأة كان قوى الإيمان برأيه ، شديد الإخلاص فى سعيه ، فلم يهن لما أصابه فى سبيل الحق ولم يستكن . وإنما بذر البزرة فى وسط العواصف الهوج والسحب المرعدة ، ثم تركها فى ذمة الطبيعة والزمن . وضن الرجل العنيد على هذه البزرة بالغذاء والرى ، حتى أدركها غوث الله ، فانتشر التعليم ، وانتعشت الحرية ، واتصل الجيل الجديد بالمدنية الغربية ، فرأى فيما رأى أن المرأة فى المجتمع الأوربى هى روحه ونشاطه وجماله وصقاله ووحيه ، فاستشعر للمصرية الاحترام ، عن تقليد فى الأكثر ، وعن اعتقاد فى الأقل ؛ ولكنه وقف من قضيتها موقف الشاهد المحايد لا يمر ولا يحلى . وكانت صفوة من كرائم السيدات قد تحررن ، بكرم النسب ، أو بسلطان المال ، أو بقوة العلم ، فأقبلن على بزرة قاسم يتعهدنها بالسقى حتى أزهرت ، وعلى شعلته يمددنها بالزيت حتى أسفرت . وفى ظل هذه الشجرة ، وعلى ضوء هذه الشعلة ، تألف (الاتحاد النسائى) ، فكان فى النهضة الحديثة قوة عاملة ظهر أثرها فى التشريع والتعليم والمواساة

وقويت المرأة المصرية بتقدم المدنية وشيوع الثقافة ، فحلت قضيتها بنفسها على الرغم من معارضة الرجل

كان الرجل يأنف أن يشرك امرأته أو يشاورها فى شأن من شؤون عمله أو منزله ؛ فأصبحت اليوم ولها من القوة ماتسيطر به عليه : فهى تدبر له العيش ، وتحدد له السلوك ، وتختار له

---

(١) الريض على وزن سيد : المهر قبل أن يذلل ويعلم السير . يستعار للشاب المرسل على غرائزه قبل أن يهذب

٣٦٠٣٦

الصديق ، وتنفق له الثوب ، وهو لا يسعه إلا أن يلازم ويتابع ، فلا ينفرد إلا بإذنها ، ولا يغيب إلا بعلمها ، ولا يتقدم عليها في ترتيب ، ولا ينفصل من دونها في خلاف ، ولا يتعدى في مناقشة الميزانية المنزلية حدود الإيراد

وكان الرجل يمنع امرأته من أن تخرج ، فأصبحت اليوم ولها من السلطان ما تمنعه به إذا شاءت من أن يدخل .

وكان الرجل يرفض أن تتعلم المرأة الكتابة مخافة أن تتصل عن طريقها بالخارج ، فأصبحت اليوم ولها من الثقافة ما تنافس به الرجل في المحاماة والطب والأدب والصحافة

وكان الرجل يأبى على زوجته أن تسفر عن وجهها في الطريق ، فأصبحت اليوم ولها من الحرية ما تسفر به عن جسمها على الشاطئ

وكان الرجل يكره أن تقرع المرأة باب الصالون على ضيوفه ، فأصبحت اليوم ولها من الجرأة ما تقتحم به سور البرلمان على نوابه !

وهكذا ترعرع غرس قاسم ، وأضاءت شعلة قاسم ، ولكن دعوته أسرعت في طريق وأبطأت في طريق : أسرعت في الحرية والسفور حتى كادت تخرج عن الحد ، وأبطأت في تضييق الزواج وتقييد الطلاق حتى كادت تنقطع عن السير . والعجيب أن المطلبين اللذين نجحا كانا مثار الخلاف والسخط ، والمطلبين اللذين فشلا كانا موضع الوفاق والرضا . والعلة في السرعة أو النجاح هنا ، وفي البطء أو الفشل هناك ، أن الحرية والسفور أمرهما بيد المرأة ، وأن تضييق الزواج وتقييد الطلاق أمرهما بيد الرجل !

سيداتي أعضاء الاتحاد النسائي !

إنكن تحتفلن اليوم بذكرى وفاة قاسم أمين ، وإنه لوفاء منكن أن تمجدن ذكرى رجل قضى خمسا وعشرين سنة من عمره القصير ، يسعى لكن ، ويدافع عنكن ، ويحتمل الأذى في سبيل أن يعترف الرجال بحقكن في الحياة ومكانكن من الوجود . ولم ينصرف إلى جوار الله إلا بعد أن رسم لكن خطة الجهاد ، ووضع لكن دستور هذا الاتحاد . ولكن أجل الوفاء ، أن تتبين الطريق الذي نهجه ، وتنفذن الدستور الذي وضعه . كان قاسم يطلب لكن الحرية من غير شطط ، والسفور من غير تبرج ، والاختلاط من غير ريبة ، وممارسة الحقوق في نطاق الواجب ، ومزاولة الأعمال في حدود التخصص . وإن كتبه لتشهد على أنه لم يطلب لكن شيئا يناقض الدين ، أو يعارض الخلق ، أو يجافي التقاليد . والسيدة زوجه ، وهي من أفهم الناس لدعوته ، وأعلمهم بنيته ، تقول في حديث لها : إن فتيات هذا الجيل قد أسأن فهم هذه الدعوة وتجاوزن مداها ؛ فإن قاسما لم يدع إلا إلى السفور الشرعي والاختلاط المقيد . وإنه ليحزنني أن يحمّله الناس أوزار هذه الحال . وأعتقد أنه لو كان حيا لرأى في تبرج الفتاة فسوقا عن دعوته وزيغا عن سبيله

فأنتن ياسيداتي خليقات أن تنقين مبادئ قاسم من شوائب الهوى والغى . وإنكن لتعلمن أن جوهر هذه المبادئ قيام الأمر بين الزوجين على المودة والرحمة ، وبين المتعاملين على الصداقة والتعاون ، وبين المواطنين على الدين والخلق ؛ وأن التربية والتعليم والسياسة والحكم يجب أن تصدر عن هذا المبدأ وتتوافى عند هذه الغاية . والناس يقولون إن المرأة وهي معنى الوئام والحب في الأمة ، أصبحت عاملا من عوامل التنافر والفرقة في الأسرة ؛ وإن أسباب الطلاق بعد أن كانت تعزى إلى استبداد الزوج ، أصبحت تعزى في الغالب إلى استهتار الزوجة . وقد زعم المحصون أن عدد المطلقات بلغ في بعض السنين الأخيرة خمسة وسبعين ألفا خرجن من دار الزوجية لأسباب يسأل الرجل عن أكثرها في بيئة العامة ، وتسأل المرأة عنها كلها في بيئة الأوساط والخاصة . فعالجن ياسيداتي الزعيمات جموح الفتاة كما عالج زعيمكن العظيم عناد الفتى . واحملن المرأة الجديدة على أن تذكر الواجب حين تذكر الحق ، وأن تفكر في الكون العام حين تفكر في الكون الخاص . سدد الله خطاكن في الطريق القويم ، وأكرم مثوى المصلح العظيم في دار النعيم !

احمد حسن الزيات

٢ - فى الحديث المحمدى

الاستاذ محمود أبو رية

تشديد الصحابة فى قبول الأخبار :

كان الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم يتقون - كما علمت - كثرة الحديث عن النبى (ص) بل كانوا يرغبون عن رواية أحاديثه ، إذ كانوا يعلمون أن النبى (ص) قد نهى عن كتابة حديثه وأنهم لا يستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبى على وجهه الصحيح ، لأن الذاكرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمع ، ولا تستطيع أن تحافظ على ما يبقى منه فيها على أصله ، - مهما تحرى الإنسان الضبط - وأنهم إذا حدثوا بما سمعوا على وجهه ، وكانت الذاكرة قد أمسكته وحافظت عليه كما هو ، لم يأمنوا من يسمع منهم أن يغير فيما سمعه بالزيادة أو النقص ، أو الغلط أو التبديل أو التحريف ، إما لعدم ضبط الذاكرة أو لسوء الفهم أو لغير ذلك ، وهم بما حملوا من أصول الدين وفروعه كاملا عن رسول الله ما كانوا ليرضوا بما رضى به بعضهم ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم من (رواية الحديث بالمعنى) لأنهم كانوا يعلمون أن تغيير اللفظ قد يغير المعنى ، وأحاديث الرسول ليست كأحاديث غيره ، وإنما هى أحكام أو بيان للأحكام . والحكم - وبخاصة فى الحلال والحرام إنما يكون بنص قاطع وخبر متوارد قد جاء على حقيقته بلفظه ومعناه

وقد بلغ من تحرجهم فى رواية الحديث أنهم كانوا يتشددون فى قبول الرواية من إخوانهم فى الصحبة مهما بلغت درجاتهم ، ويحتاطون فى ذلك أشد الاحتياط ، حتى كان أبو بكر لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة على أنه قد سمعه من الرسول (ص) وقد وضع بعمله هذا - أول شروط علم الرواية - وهو شرط الإسناد الصحيح ، قال الذهبى فى ترجمته « إنه أول من احتاط فى قبول الأخبار »

روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورَّث فقال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً ؛ ثم سأل الناس . فقام المغيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ! فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر . هذا هو عمل أبى بكر ، أما عمر فقد كان أشد من ذلك احتياطاً وتثبتاً

قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث « وكان عمر شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب فى المنافق والفاجر والأعرابى » (١)

وقال الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته :

وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب »

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور ! فقال استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت ! قال (عمر) ما منعك ؟ قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت ! وقال رسول الله « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع . فقال : والله لتقيمن عليه بينة - زاد مسلم - وإلا أرجعتك - وفى رواية ثالثة فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتينى بمن يشهد لك على هذا ! أمنكم أحد سمعه من النبى ؟ فقال أبى ابن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم . فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى قال ذلك » فانظر كيف تشدد عمر فى أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث فى حلال أو فى حرام ! أو فى أى شئ من أصول الدين أو فروعه

وقد استند إلى هذه القضية من يقولون : إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم إليه غيره - كما فى الشهادة

(١) ص ٤٨ وقد وقع ما خشيه عمر بعد أن اتسع الناس فى الرواية فقد دخلها الشوب ووقع فيها التدليس والكذب . ولا حول ولا قوة إلا بالله

مصر واليونان

« مهداة الى معالى الدكتور طه حسين باشا »

للأستاذ إبراهيم الترزى

كان لتلك الدعوة الكريمة التي وجهتها اليونان إلى معالى الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة « أثينا » ، وكان للحفاوة البالغة التي استقبلته بها ملكا وحكومة وشعبا ، أرجميل خفق له قلب مصر ، وجدد لها ذكرى صلتها الثقافية القديمة باليونان ...

وكان ذلك التكريم الرائع الذى أحاط بمعالى الدكتور العظيم ، شعورا نبيلا بجميل مصر على اليونان ، وحنينا إلى تلك الصلة القوية التي ربطت هاتين الأمتين العظيمتين فى غابر الأزمان !

ويحسن بنا — فى هذه المناسبة — أن نذكر شيئا عن هذه الصلة الثقافية العريقة ، وأن نشير إلى آثار مصر فى نهضة اليونان الفكرية قديما ... فقد تمخضت هذه الصلة عن مدنية عظيمة أيقظت الفكر الإنساني ، ومنحته تراثا لا يزال حيا زاهرا إلى اليوم

مما لاشك فيه أن صلة مصر باليونان قديمة ترجع تقريبا إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت مصر على أوثق اتصال بجزيرة « كريت » فى ذلك المهد القديم ، وقد تأثرت هذه بحضارة مصر وأخذت عنها الكثير من فنونها التي انتقلت فيما بعد إلى داخل بلاد اليونان . والتاريخ يذكر لنا أن الكريتيين خضعوا قديما للسيادة المصرية ، وقد تأيد هذا بالعثور على طبق من الذهب محلى بالنقوش كان « تحتمس الثالث » قد أهداه إلى قائد من قواده عينه حاكما على « كريت » وغيرها من الجزر المجاورة لها

وها هو ذا الأستاذ « ماسون أورسيل » يقرر تلك الصلة القديمة قائلا : « عندما انتقل أثر كريت إلى بلاد اليونان الداخلية فى خلال النصف الأول من الألف الثانى ق . م أدخل معه ثمرات دلتا النيل ، إذ كانت جزيرة كريت متصلة اتصالا وثيقا بمصر منذ الألف الثالث ق. م .. ولقد اشترك الكريتيون فى الثقافة المصرية كما يستدل من خطهم المؤلف إلى حد كبير من حروف هيروغليفية ، وهذا جعلهم يصطبغون بصبغة الثقافة المصرية سواء فى ميسين أم فى أيونيا » (١)

وإن التاريخ يذكر لنا أنه كانت لليونانيين بمصر — فى الزمن

(١) الفلسفة فى الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى . ص ٥٠

وقال ابن بطال : يؤخذ منه التثبت فى خبر الواحد لما يجوز عليه فى السهو وغيره

وقد رأيت من قبل ما فعله عمر مع أبى هريرة وغيره . ولم تكثر أحاديث أبى هريرة إلا بعد وفاة عمر ، فقد روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة – وقلت له – أ كنت تحدث – فى زمان عمر هكذا ؟ قال :

لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته ، وفى رواية : إنى لأحدث أحاديث لو تكلمت بها فى زمان عمر — أو عند عمر — لشج رأسى !

وعن أبى سلمة سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله ، حتى قبض عمر

وعن الزهرى : أن أبا هريرة كان يقول : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حى ! أما والله إذاً لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهرى ، فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله

ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له :

إنك تأتى قوماً لهم فى مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك فى ذلك

ولم يتمكن أبو هريرة من الاتساع فى الرواية إلا لأن الخلفاء الذين جاءوا بعد عمر لم يتشددوا كما تشدد عمر ، ومن ثم استفاضت الرواية وتوسع الناس فيها ، ودخلها ما دخلها مما لا تزال – ولن تزال – باقية باستمساك الحشوية بها

المنصورة «للكلام صلة» محمود أبو رية

القديم – منطقة خاصة بهم فى شمال الدلتا ، وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة تحبب لهم البقاء فى مصر

ومما لاشك فيه أيضا أن اليونان قد استفادت أجل الفوائد من هـذه الصلة التى أحيت فـكرها ، وغذته بلبان المعرفة ، وربته حتى شب ، وتحرر وانطلق إلى سماء المعرفة يحلق فى آفاقها الفسيحة الممتدة ، ويتجاوب مع أسرار الـكون ، ويفيض بنوره على العالمين

والواقع أن اليونان قد حملت من مصر اللبنات التى أسست بها صرح مدنيتها الشاهقة ، وإن الآثار التى يكتشفها الباحثون فى أرض مصر الخصبة بالأفـكار والحضارة تؤكد هذا ... فليس خافيا أن مصر أعرق حضارة ، وأقدم مدنية من اليونان ... وقد اكتشف عالم فرنسى خلف الهرم الغربى جثة موظف من عهد الدولة الأولى وجدت على تابوته تلك العبارة « هذه جثة الحارس الأكبر لدار الـكتب الملـكية » وقد علق الأستاذ « ماسبيرو » على هذا بقوله : إن هذه المـكتبة التى كان هذا الموظف الـكبير مديرها أو حارسها كانت تحوى بين جدرانها كثيرا من الـكتب فى الأدب والفلسفة والأخلاق والتاريخ والاجتماع والقانون والسياسة والطب والحساب والهندسة والفلك والسحر والتنجيم.(٢) وإن هذا يؤكد لنا أنه قد سبقت هذه الدولة الفرعونية الأولى بأمد طويل حياة حافلة بشتى المعارف والعلوم ... وإن هذا أيضا يحملنا نستحث علماء الآثار والباحثين لـكى يستجيبوا للنداء الحار المنبعث من أوراق البردى وغيرها من الآثار الراقدة فى المتاحف وفى جوف الثرى . . ذلك النداء الملح الذى يدعوهم لبعثها وإحياء ما فيهـا من أفكار ومعارف وليس أدل على قوة الروح العلمية التى كانت سائدة فى مصر من هذه المدارس التى كانت منتشرة فى أنحائها ، تحفل بشتى المعارف والعلوم » فقـد كان المصريون يحبون العلم ، ويحضون أبناءهم عليه ، ويرونه أشرف مطلب للانسان فى الحياة ... وكانت لهم مدارس تعلم القراءة والـكتابة والحساب والهندسة والطب والفلك والنحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون » وكانت مدارسهم هـذه منتشرة فى كل إقليم ، وكانت فى الغالب ملحقة بالمعابد . ومن مدارسهم الـكبيرة التى اشتهر ذكرها ، والتى يمكن أن تسمى فى التعبير الحديث جامعات ، مدرسة هليوبوليس (أون) ، ومدرسة سايس (صا الحجر) ومدرسة هرموبوليس (خمينو أو أشمون) ومدرسة طيبة ، ومدرسة أبيدوس (العرابة المدفونة) ومدارس أخرى مختلفة (٣)

ولاشك أن كثيرا من مفكرى اليونان قد تتلمذ فى هـذه المدارس على أساتذة مصريين ونهل من معارفهم مما كان له أكبر الأثر فى علومهم وفلسفاتهم التى غزت العالم أجمع . يؤكد هذا المؤلفون اليونانيون أنفسهم إذ يقولون : « إن العلوم كانت مجهولة كل الجهل لدى اليونانيين حتى ملك أبسماتيك عرش مصر وفتح أبواب بلاده للأجانب بعد طول إقفالها ، فتقاطر إلى وادى النيل اللاحون والتجار والسياح من اليونان ، فبهرتهم الدنية المصرية ، وكانوا على كثير من البربرية فاعتزم أولو الفهم منهم تعلم ما ينقصهم فى مدارس الـكهنة بمصر ... وكذلك جاء طاليس وسولون وأفلاطون وفيثاغورس فحملوا ماخلد أسماءهم فى بطون التواريخ ، ومعروف أن فيثاغورس وحده قضى بمدارس ممفيس وطيبة عشرين سنة » (٤)

إن أول فيلسوف يونانى — وهو طاليس — قد حج إلى مصر وبهرته حضارتها ومعارفها لدرجة أنه أوصى « فيثاغورس » بزيارتها ! وأثر مصر فى « طاليس » واضح بين يظهر فى مذهبه القائل بأن أصل الـكون هو الماء ، فقد تأثر فيه بأسطورة مصرية قديمة تقول إن الماء قد وجد قبل أن يوجد شئ فى الـكون لأنه العنصر الأول المشتمل على جميع عناصر الوجودات

وفيثاغورس صاحب الفلسفة المريضة العميقة قد تأثر أيضا بمصر فقد قضى فيهـا — كما يذكر المؤرخون — عشرين عاما ينهل من معارفها وعلومها ، وأخذ عنها نظريتى خلود الروح وتناسخ الأرواح كما يشير إلى ذلك الأستاذ « ليجران » فى تعليقه على « هيرودوت » حينما ذكر الأخير فى الفقرة رقم ١٢٣ أن

---

(٢) الفلسفة الشرقية : الدكتور محمد غلاب . ص ٦١

(٣) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الأول ص ١٣٥

(٤) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم ص ٩٠

المصريين أول من قالوا بخلود الروح ، ثم أشار إلى قولهم بتناسخ الأرواح وقال : « ومن اليونانيين من نقلوا هذه النظرية بعضهم قديما وبعضهم حديثا وظهروا بها في اليونان كأنها نظريتهم وكأنهم هم الذين وضعوها ، وأنا أعرف أسماء هؤلاء الذين فعلوا هذا ولكني لا أذكرها » . يعلق « ليجران » مترجم هيرودوت على هذا بقوله : وهؤلاء الذين أبى هيرودوت أن يذكر أسماءهم هم الأورفيون وفيريسيد وفيثاغورس وأمبيدوكل » . ويطيب لي هنا أن أذكر تعليق المرحوم عبد القادر حمزة باشا على قول هيرودوت هذا إذ يقول : وهذا هو الذي يفسر لنا هذه الظاهرة الغريبة ... وهي أن كثيرا من العلماء اليونانيين الذين أقاموا في مصر واتصلوا بمدارسها ثم عادوا إلى بلادهم وكتبوا مؤلفاتهم لم يقل واحد منهم إنه اقتبس منها علما أو فنا » (٥) . والواقع أن قول هيرودوت قد كشف لنا عن حقيقة هامة يجب أن يوليها الباحثون عناية فائقة ، فإنه من الجائز أن يغفل مفكرون يونانيون غير من عرفهم هيرودوت هذه الغفلة إزاء نظريات أخرى ، فعليهم أن يعنوا بالكشف عن الآثار ودراستها ، فلعلهم واصلون إلى أدلة أقوى من التي بأيدينا . الآن مما زيدنا يقينا بقوة الصلة بين مصر واليونان ، فإن المؤلفين الغربيين والشرقيين لم يتأكدوا من آثار مصر في اليونان ، بل إن بعضهم لم يذكرها ولم يشر إليها إلا بعد أن ظهرت هذه المكتشفات العظيمة التي أكدت قوة هذه الصلة وعمقها

نعود إلى فيثاغورس وجماعته فنقول إن الفيثاغوريين قد تأثروا أيضا بكتاب الموتى فقد اكتشف الباحثون أنهم كانوا يضعون في قبور موتاهم صفائح ذهبية رسمت عليها الطرق التي يجب على الروح أن تسلكها بعد الموت وكتبت عليها الصلوات التي تتلوها . . مما يشبه ما جاء في كتاب الموتى !

أما « ديموكريت » فيلسوف الذرة « فقد كان من أهم الأسفار التي أثرت في حياته العلمية إقامته بمصر التي يحدثنا هو أنها استغرقت خمسة أعوام كاملة قضاها كلها في تلقي علم الهندسة على علماء وادي النيل » كما يصرح بذلك الأستاذ « جانيه » (٦)

« وأفلاطون » أيضا قد زار مصر ، واتصل بعلمائها ، وتأثر بهم ، فقد قال العالم شمبوليون : « تعلم فيثاغورس بمصر كل ما استطاع معرفته ، وتعلم بها أيضا سولون وطاليس كل ما علماء لليونانيين ، ومعروفة لدينا أسماء الأساتذة الذين تلقى عنهم أفلاطون علمه بمصر في مدرسة هليوبوليس » (٧)

أما الأستاذ « جول بابي » فإنه بعد أن يذكر أن فيثاغورس قد وضع نظريته في تناسخ الأرواح اقتباسا من مصر ، يحدثنا بأن أفلاطون أيضا قد أخذ كثيرا من مصر ، ثم بعد أن يعدد ما أخذه ذلك الفيلسوف العظيم عنها وبين أثر ذلك في فلسفته يختتم كلمته قائلا : « وهذا كله مأخوذ من مصر ، وكان من الضروري أن تجد الفلسفة الأفلاطونية - والأفلاطونية الحديثة - تربة صالحة لها في مصر لأن جذورهما مصرية » . ويذكر أيضا « جول بابي » أن كثيرا من مفكري اليونان قد زار مصر وتأثر بعمارتها ، فإنه بعد أن يشير إلى ما اقتبسه اليونانيون من المصريين في مصير الإنسان بعد موته ، وبعد أن يقرر أن المصريين هم أساتذة العالم في هذا الموضوع يقول : « وكان كثير من اليونانيين المشهورين يفتخرون بأنهم ساحوا في مصر ، وكان تلاميذ هؤلاء العلماء والمعجبون بهم يرون شرفا لهم أن يكونوا قد تنقلوا في مصر ، فمن الشعراء مثلا هومير وأورفي وموزي وميلامب ، ومن المشرعين ليكورج وسولون ، ومن المؤرخين هيكاتي وهيرودوت وهيلانيكوس ، ومن الفلاسفة والعلماء طاليس وفيثاغورس وكزينفون وديموقريت وإيدوكس وإينوبيد وأفلاطون » (٨)

وإن الأستاذ « ماسون أورسيل » قد قرر بعض آثار مصر في اليونان حين عرض للصلة التي كانت قائمة بينهما بقوله : « وأهم ما أخذته العقلية الإغريقية عن مصر هو الهندسة التي تمد النموذج الأصيل للمعرفة حسب مذهب أفلاطون » ثم يذكر أن مقاييس

(٥) على هامش التاريخ المصري القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثاني ص ١٨ ، ١٩

(٦) Janet et Seailles Ouvrage cie P 925
عن كتاب : الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب

(٧) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . ص ٨٠

(٨) على هامش التاريخ المصري القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثاني ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

السطحات والمكعبات كانت دقيقة إلى أقصى حد عند قدماء المصريين ، ويشير إلى نضوج علم الحساب لديهم ذاكرا أن حساب الكسور كان يعد أهم شئ فى هذا العلم ، ويذكر أيضا أن حل المادلات الرياضية كان من الأمور اليسيرة عندهم إلى أن يقول : « وكل هـذه المعارف والعلوم قد أخذها اليونانيون عن قدماء المصريين بما فى ذلك خيط البناء والساعة الشمسية وساعة الماء ثم يستطرد قائلا : « وكان علم الفلك موضع ملاحظات منظمة ومتوالية فقد جعلت السنة ٣٦٥ يوما وربع يوم مقسمة إلى اثنى عشر شهرا ، وكان الأسبوع سبعة أيام مسماة بأسماء الكواكب السيارة السبعة ؛ واليوم مكونا من اثنتى عشرة ساعة نهارية ومثلها ليلية ... وفكرة البروج وشكل الكون الكروى ، وكروية الشمس والقمر لا الأرض التى كانت تعد حلقة مستوية ممنطقة بالمحيط ، وطبيعة النجوم النارية ، وشرح الخسوف والكسوف ... » الخ » وكل هذه المعارف والأفكار قد أخذه اليونانيون — إما قضية مسلمة وإما موضعا للنظر والبحث — عن قدماء المصريين . . . وإليهم أيضا يمكن أن تنسب نظرية العناصر الأربعة فى الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسى » (٩)

ولقد تأثرت اليونان أيضا بالديانة المصرية القديمة التى يجمع الباحثون على أنها أول ديانة بشرية فى الوجود ، وأكبر مثل على هـذا التأثير انتشار عبادة « إيزيس » فى اليونان ، وتشييد معابدها على الطراز المصرى ، والتعبد فيها بطقوس شبيهة بالطقوس المصرية ، حتى أن بلوطرك اليونانى ألف كتابا عن « إيزيس وأوزريس » ، ومما جاء فيه قوله : إن « هذا الشعب (يريد الشعب المصرى) لم يكن كما يتوهمه بعضهم يدخل فى حفلاته الدينيه أى مبدإ غير معقول ولا أى عنصر يوعز به الوهم أو توعز به الوسوسة ، وإنما كانت عاداته تقوم على ما فى اتباع هذه العادات نفسها من الفوائد أو على الافتنان فى تسجيل ذكريات تاريخية قديمة أو على إيضاح نواميس طبيعية » (١٠)

(٩) الفلسفة فى الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة محمد يوسف موسى : س ٥٥ ، ٥٦

(١٠)،(١١) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا المجلد الثانى س ٤٤ ، ٤٥

(الفقرة ٨ من كتاب « Isis et Osiris » من الترجمة الفرنسية المطبوعة سنة ١٩٢٤) ثم يستطرد بلوطرك بعد ذلك إلى أسطورة « إيزيس وأوزريس » فيقول : « إنها إحدى العقائد المستورة تحت ستار قصص و كتابات لا يظهر من خلالها إلا أثر قليل من الحقيقة المقصودة » (١١)

ومما لاشك فيه أن القوانين المصرية قد أثرت فى القوانين اليونانية ، بل امتدت آثارها إلى القوانين الرومانية وبخاصة قانونها المسمى « قانون الألواح الإثنى عشر » « والقانون الرومانى » الذى اقتبست منه أوربا قوانينها الحديثة

ومن الواضح الجلى أيضاً أن اليونان قد تأثرت فى فنونها إلى حد كبير بالفنون المصرية ، فإن الباحث يرى كثيرا من الملامح المصرية فيما خلفته اليونان من تراث فنى خالد !

وجميع ما تقدم يكشف لنا عن الجذور المتأصلة القوية التى ربطت الثقافة اليونانيه بالثقافة المصرية فى الزمن القديم ، ويبين مدى عمق هـذه الصلة العريقة التى تفاعلت فيها الثقافتان إلى حد جعل الدكتور « غوستاف لوبون » يقول : « ولا نعلم تفصيلات ما تلقاه الإغريق عن المصريين ولكننا ندرك أنها معظم المعارف التى تضمنتها كتبهم ، إذ لم يكن لهم من قبل كتب ولا علوم ذات شأن . . وما تقدم يدلنا أيضا على أن أصول العلم نهاية فى القدم ، فليس الإغريق هم الأصل ما داموا قد تلقوا العلم عن المصريين وتقدمهم هؤلاء بآلاف السنين ، وعلى هذا يصح لنا القول بأن العلم كالمدنية صرح واحد تعمل فى بنائه الأمم على التوالى ، واحدة وراء أخرى ، فإذا تقرر هذا صح أيضا أن نبحث عن مبلغ علوم المصريين فى تآليف الإغريق الذين عاصروهم مثل فيثاغورث وأفلاطون » (١٢)

حقيقة أن الفكر اليونانى قد تتلمذ على الفكر المصرى ، . ولكن من الواضح البين أنه بعد ذلك فاق أستاذه كثيرا وبزه فى كل مجال ، وتسلم منه مقاليد الفن والفكر ، واستوى على عرشه المقدس ، ومنح العالم تراثا حيا ناضجا من الفلسفات والعلوم والفنون ، وحرك عجلة الإنسانية فقطعت أشواطا جبارة

(١٢) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . س ٩١

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار

— ٣ —

للأستاذ محمود عزت عرفة

قصيدة النار

.. وقصيدة النار التي عقدنا لها هـذا الحديث هي ما أنشده أبو تمام في حادث مقتل الأفشين وصلبه ؛ وقد كان معبراً فيها ولا شك عن الشعور الذي ساد عاصمة الخلافة وقتذاك . ولعل القارئ فهم مما قدمناه عن محاكمة الأفشين أننا أميل إلى الانتصار له — ولكن الواقع أن تحقيق تلك القضيـة والبت فيها برأي حاسم يحتاج إلى أن يفرد له كتاب معدود الصفحات لا مقال محدود السطور . والذي يعنينا أن نذكره في هـذا المقام هو أن أبا تمام كان صدى في قصيدته هـذه للشعور العام ، وخاصة الشعور العربي الذي ضاق ذرعا بنفوذ الموالي من العجم ، وأرمضه ما تمكن لهم من النفوذ في مناصب السياسة والجيش . ندرك هذه الحقيقة من أشخاص الذين اختيروا لمحاكمة الأفشين ، ومن الطريقـة التي أعدوا بها الشهود ورتبوا مواقفهم ... وندركه من بعض التهم نفسها في تلونها بروح الشماتة وتحامل العصبيـة ، مع شيء غير قليل من التكلف والإسفاف ... وندركه أكثر من ذلك ، في هذه القصة التي يحكيها إسحق بن إبراهيم المصعبي — أحد أعضاء هيئة المحاكمة — عن حديث جرى بينه وبين المعتصم بعد مقتل الأفشين قال له فيـه (١) : نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا ، واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم . قال إسحق : ومن الذين اصطنعهم أخوك المأمون ؟ قال : طاهر ابن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثـله ، وأنت فأنت والله الرجل الذي لا يعتاض السلطان منك أبداً ، وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل محمد ؟ وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار أمره ، وأشناس

(١) ابن الأثير : ج ٦ ص ١٩٢ ؛ والطبري ج ١١ ص ٨

في طريق المدنية والحضارة

ثم بعد أن دب الوهن والضعف في حضارة اليونان الفكرية جاءت إلى مصر فبعثتها ، وجددت فلسفاتها وتشربتها ، وتأثرت بها ، ونشرت أضواءها الوهاجة على العالمين . فقد استقبلت مصر كثيرا من المفكرين اليونانيين واحتضنتهم ، ونشأت فيها « الأفلاطونية الحديثة » وترعرعت ، وحلت الإسكندرية محل « أثينا » في زعامة العالم الفكرية ، وكانت مكتبتها الضخمة المشهورة متخمة بالمؤلفات الإغريقية وغيرها . .

هكذا كانت صلة مصر باليونان في الزمن القديم حية زاهرة جنى العالم منها أطيب الثمرات . .

وهكذا حافظت مصر على تراث اليونان الفكري ورعت صلتها الثقافية بها . .

وهكذا تعود هذه الصلة الآن بينهما بعد أن لوعهما الحنين ، واستفاض بهما الشوق ! ! . وقد تجلت هذه العودة المباركة في تلك الدعوة الكريمة التي وجهتها اليونان إلى معالي وزيرنا العالم الأديب الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة أثينا العتيدة . . . وكم أسعدنا ذلك الحديث التي طلعت علينا به « الأهرام » إذ يقول معاليه بعد عودته «وقد أنشأت مصر في جامعة أثينا كرسي فاروق الأول للغة العربية وآدابها ، وأنشأت اليونان في جامعة فاروق بالإسكندرية كرسيا للغـة اليونانية الحديثة وآدابها ، وستنشئ معهداً للدراسات اليونانية القديمة في الإسكندرية . . وقد كانت الحكومة اليونانية رقيقة إلى أقصى حدود الرقة حين قررت أن ترد إلى الإسلام «مسجد أثينا» الذي كان معطلا منذ استقلال اليونان سنة ١٨٢١ »

وأخيرا فإننا نرجو أن تتوطد هذه الصلة الثقافية من جديد ، وتتسع وتتعمق ، فلعلها تكون بعثا فكريا جديدا للأمتين العريقتين ، فتستعيدا مكانتهما القديمة السامية بين أمم العالم الحديث

ابراهيم التزري

فقشل أيه (٢)، وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا مغنى فيه. فقلت: أجيب على أمان من غضبك؟ قال: نعم. قلت له: يا أمير المؤمنين، نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها؛ واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها. فقال: يا إسحق، لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب. ه

لقد كان يتجاذب النفوذ في بلاط المعتصم حزبان كبيران: العرب ومن يتعصب لهم، والأعاجم ومن ينتمون إليهم. وكان رأس الحزب العربي القاضي أحمد بن أبي دؤاد، وهو أحد من حاكوا الأفشين. وقد عاش في كنف المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل على التوالي فلقي منهم الإكرام والتبجيل جميعاً. وكان ركن العرب عندهم وملاذهم الحصين، يشفع في مسيئهم فيشفع، ويلتمس الثواب لمحسنهم فيثاب

وهو الذي استخلص أبا دلف العجلي من براثن الأفشين حين اعتل عليه ورام قتله، وكشف النقمة عن خالد بن يزيد الشيباني حين علقت به حبائل الدسائس وأمر المعتصم بنفيه إلى الحجاز (٢) وقد انضوى أبو تمام تحت راية هذا الحزب العربي بحكم طبيعته ونشأته وبتأثير من أدبه وثقافته.. وحسبك للتحقق من ذلك أن تسمع قوله لابن أبي دؤاد في بعض مدائحه:

أخذت بأعضاد العريب وقد خوت
عيون كليلات وذلت جماجم
فأضحوا لو اسطاعوا لفرط محبة
لقد علقت خوفاً عليك التمائم
ولو علم الشيخان: أد ويعرب
لسرت إذاً تلك العظام الرمائم
تلاقى بك الحيان في كل محفل
جليل، وعاشت في ذراك العمائم!

والعمائم تيجان العرب كما قالوا، والشاعر هنا يكنى بها عنهم .. وندع الآن البحث في موقف الأفشين، مبقيا عليه أو باقيا، لنتحدث عن قصيدة أبي تمام التي نكرر أنه إنما أنشأها معبراً فيها عن شعوره وشعور عامة المسلمين في وقته؛ فهي من هذه الوجهة كلمة صادقة تفيض بالأحاسيس القوية، وآية من آيات الطائي لها على الأدب حق التسجيل

الحق أبلج والسيوف عوار
فحذار من أسد العرين حذار
ملك غدا جار الخلافة منكم
والله قد أوصى بحفظ الجار
يا رب فتنة أمة قد بزها
جبارها، في طاعة الجبار

بمثل هذا الإنذار القوي المنيف يبدأ أبو تمام قصيدته. وكأنما هو يحاول أن يصك به آذان هؤلاء الموالي جميعا ممن ركبوا رءوسهم فتطاولوا إلى الانتقاص من كرامة العرب، بل حاولوا أن ينالوا بالأذى ولي نعمتهم المعتصم وهو الكفيل أن يهلك كل متجبر فيهم، امتثالا لأمر الجبار سبحانه في أمثالهم من أهل البغي

ثم ما أسرع ما ينفذ أبو تمام إلى أول المعاني الخطيرة التي أعدها لهذا المقام، فالأفشين قد أوتي نعمة لم يرعها ولم يحسن القيام عليها لأنه غير كفء لها. فهو حري إذاً أن يسلب هذه النعمة ولا كرامة، وأن يلقى بعدها الخسران والبوار جزاء وفاقا:

جالت بخيدر جولة المقدار فأحله الطغيان دار بوار
كم نعمة لله كانت عنده فكأنها في غربة وإسار!
كسيت سبائب لومه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء في الأطمار

وتكرير التصريع في البيت الرابع من القصيدة «جالت بخيدر جولة المقدار» ينم على تدفق القريحة بالشعر، وانطلاق السجية فيه إلى مداها. فالمعاني تترافد على نفس الشاعر، والقوافي تقتتل في سبيل احتلال مواضعها من أبيات القصيد.. وما بقي على السامع إلا أن ينتظر الروعة والجمال، والإبداع والافتتان

* * *

وبعد أن يسجل أبو تمام مخادعة الأفشين لأمير المؤمنين،

---

(٢) كذا في الطبري: ولعله أنه «بالنون على وزن خجل أي حاسد (انظر القاموس)

(٣) هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ص ٩٢

وكيده الذى ارتد إليه فأوبقه ، وما كان يبيته لهذا الدين من شر ألبسه الله خزيه وعاره — يعود فيسجل العذر البين للمعتصم فى اصطناع هـذا الخائن ، وفى غفلته سنين عما يبطن من النفاق ، ويعتقد من الكفر والخلاف . فمثل هـذا أمر قد تعرض له الرسول عليـه الصلوات من قبل ، وهو المعان من ربه ومن رأيه ومن مشورة صحبه بأعظم العون . وتعرض له أيضا الكرام الخيرة من آل هاشم :

هذا النبى وكان صفوة ربه … من بين باد فى الأنام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة … وهم أشد أذى من الكفار
واختار من سعد لعين بنى أبى … سرح ، لوحى الله ، غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التى … رفعت له سجفاً عن الأسرار
والهاشميون استقلت عيرهم … من كربلاء بأوثق الأوتار
فشفاهم (المختار) منه ولم يكن … فى دينه المختـــار ، بالمختار
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا … منـه براء السمع والأبصار

وهذا توجيه بارع لموقف المعتصم ، وتعزية جميلة له فى خطبه . فالأفشين صنيعته ، وبجده صنع يديه . وهذه الخيانة إن دلت على شىء فإنما تدل على سوء الاختيار وخطأ التقدير ، وعلى أن المعتصم لغفلته « قد استعمل فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها » كما قال إسحق بن إبراهيم . وأبو تمام حين يتلمس الأعذار اللطيفة ، أو يتقفر البراهين القوية ، لا يجد أرحب من التاريخ سجلا للحوادث ، ولا مورداً للأسى والعبر .. فليكن للمعتصم فى انخداعه أسوة بالرسول وآل بيته ، خدعوا فى اختيارهم ، ولم يصيبوا فى بعض تقديرهم ، فما نقصهم ذلك فضلا ، ولا أعلق بهم مذمة

والمشار إليه فى قصة الرسول عليـه الصلوات هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح . صحابى أسلم قبل الفتح واستكتبه النبى عليه السلام ، فكان يكتب موضع الغفور الرحيم ، العزيز الحكيم .. وأشباه ذلك . فأطلع الله عليـه النبى عليه السلام فهرب إلى مكة مرتدا ، وفيه نزل قوله تعالى : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » (١) . وقد أهدر النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه ، ثم استأمن له عثمان ، فأمنه الرسول (٢)

وفى أخبار أبى العيناء (٣) أنه دخل على عبيد الله بن سليمان فشكا إليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر؟ فقال : كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقته فى طلبتى . قال : أنت اخترته . قال : وما على أعز الله الوزير فى ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان منهم رشيد ؛ واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدا ؛ واختار على بن طالب أبا موسى حاكماً له فحكم عليه !

وأما « مختار » بنى هاشم الذى يشير إليه أبو تمام فهو المختار ابن أبى عبيد بن مسعود الثقفى . كانت لأبيه فى الإسلام آثار جميلة. والمختار هو كذاب ثقيف الذى جاء فيه الحديث . وكان يزعم أنه يوحى إليه فى قتلة الحسين فقتلهم بكل موضع ؛ وقتل عبيد الله ابن زياد . وله أسجاع يصنعها وألفاظ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه وتوحى إليه (٤)

وإشارة أبى تمام إلى المختار الثقفى تنطوى على معنى دقيق ، فهو رجل على خبث طويته وانحراف مذهبه قد خدم آل البيت ، بما أبلى فى الدفاع عنهم ، وبما أراق من دم أعدائهم . ثم تمادى به طغيانه فزايل الحق وتنكب عن نهج الدين ، فكان أن قاتله مصعب بن الزبير حتى قتله (فى رمضان سنة ٦٧ هـ) . وهكذا عفى بما أحدث من شر على كل ما سلف له من خير . ومثل هذا صنع الأفشين حين أبلى فى الجهاد السنين ذوات العدد ، ونصر الدين بسيفه كما لم ينصره قائد ؛ ثم محا ذلك كله بما تكشف من غدره واستبان من كفره

* * *

ويخلص أبو تمام من احتجاجه للمعتصم ، هـذا الاحتجاج الذى حشد له عقله وعلمه ليعود إلى ذكر غدرة الأفشين فيقول :

ما كان لولا فحش غدرة حيدر … ليكون فى الإسلام عام فجار

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٣

(٢) زهر الآداب : ج ٢ ص ٥٠

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد ، صاحب النوادر والشعر والأدب ، وكان ضريرا . توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ

(٤) زهر الآداب : ج ٢ ص ٥١

ما زال سر الكفر بين ضلوعه   حتى اصطلى سر الزناد الوارى

قال أبو العيناء : انصرفت (٥) يوماً من عند ابن أبي دؤاد ، فدخلت إلى محمد بن منصور ، فوجدت عنده عمارة بن عقيل ، وكان خلا له ، وهو ينشده قصيدة له في الواثق ، أولها :

عفت الديار رسومها قفر   لعبت بها الأرواح والقطر

فلما فرغ منها قلنا له : ما سمعنا أحسن من هذه الرائية ، أحسن الله إليك يا أبا عقيل . فقال : والله لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها . قلنا له : وما هي ؟ قال : كلمته التي هجا بها الأفشين . فقال محمد بن يحيى بن الجهم : أنا أحفظها ! فقال : هاتها . فأنشده :

الحق أبلج والسيوف عوار   فحذار من أسد العرين حذار

فقال له عمارة : أنشدنا ذكر النار ، فأنشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه   حتى اصطلى سر الزناد الوارى
ناراً يساور جسمه من حرها   لهب، كما عصفرت نصف إزار (٦)
طارت لها شعل يهدم لفحها   أركانه هدماً بغير غبار
ففصلن منه كل مجمع مفصل   وفعلن فاقرة بكل فقار (٧)

... قال راوى الحديث : ثم ذكر المصلبين (٨) فقال :

سود اللباس كأنما نسجت لهم   أيدى السموم مدرعاً من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر   قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ، ومن رآهم خالهم   أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة : لله دره ! لقد وجد ما أضلته الشعراء ، حتى كأنه كان مخبوءاً له . قال أبو العيناء : فاعتقدت في أبي تمام من ذلك اليوم أنه أشعر الناس ، وما كان ذا رأيي من قبل ! ا ﻫ

لقد نالت هذه القصيدة إذاً غاية الإعجاب منذ إنشادها ، وبلغت من ذلك حظا لم تناقسها فيه إلا قصائد لأبي تمام معدودة . منها — فيما نرى — قصيدتاه اللامية والنونية في الأفشين أيضا . وهما مدح له وتنويه في إبان تألق مجده وهكذا يتفوق أبو تمام في الحديث عن الأفشين مادحاً له في حياته أو قادحاً فيه بعد موته

ويبدو لنا أنه كان صادق التأثر مطبوع المعاني في كلتا الحالتين .

أما اللامية فقد اقترح عليه إنشاءها عبد الله بن طاهر والى خراسان وهو على بابه بنيسابور ، وقت أن كان الأفشين يعصف بقوى البابكية في أرشق . ومطلع هذه القصيدة :

(غدا الملك معمور الحرى والمنازل)

روى أبو بكر الصولى قال (٩) : استنشد خالد بن يزيد (١٠) أبا تمام قصيدته في الأفشين التي ذكر فيها المعتصم ، وأولها :

غدا الملك معمور الحرى والمنازل   منور وحف الروض عذب المناهل

فلما بلغ إلى قوله :

تسربل سربالاً من الصبر وارتدى   عليه بعضب في الكريهة قاصل
وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى   بعقبان طير في الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها   من الجيش إلا أنها لم تقاتل

قال له خالد : كم أخذت بهذه القصيدة ؟ قال : ما لم يرو الغلة ، ولم يسد الخلة . قال : فإني أثيبك عنها . قال : ولم ذاك ، وأنا أبلغ الأمل بمدحك ؟ قال : لأني آليت لا أسمع شعراً حسنا مدح به رجل فقصر عن الحق فيه ، إلا نبت عنه . قال : فإن كان شعراً قبيحا ؟ قال : أنظر فإن كان أخذ شيئا استرجعته منه !

فهذا نصيب اللامية وحظها من التقدير ، أما النونية التي مطلعها (بذ الجلاد (البذ) فهو دفين) فقد مدح بها أبو تمام الأفشين عندما قدم ببابك إلى سر من رأى ، فأمر الخليفة باستقباله وأفاض من نعمته عليه . يقول الطبرى (١١) : توج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ، ووصله بعشرين ألف ألف درهم ، منها عشرة آلاف ألف صلة ، وعشرة آلاف ألف يفرقها في أهل عسكره ، وعقد له على السند ، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه ، وأمر للشعراء بصلات ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر (٢٢٣ ﻫ) . وكان مما قيل فيه قول أبي تمام الطائي :

---

(٥) أخبار أبي تمام للصولى ص ٩٣

(٦) في رواية الديوان : شق لزار

(٧) في الديوان : فصلن منه ، بتشديد الصاد

(٨) هم بابك الخرمى والمازيار بن قارن وناطس الرومي نائب عمورية وحيدر الأفشين ، صلبوا جميعاً في موضع واحد

(٩) أخبار أبو تمام ص ١٦٣

(١٠) خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني . كان واليا على أرمينية في أيام الواثق وتوفى سنة ٢٣٠ ﻫ

(١١) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٣٤

يد الجلاد البذ فهو دفين ما إن به إلا الوحوش قطين

ثم أورد من القصيدة أبياتاً . ويبدو أن أبا تمام لم ينصف فى هذه القصيدة أيضا ، فقد ذكر صاحب معاهد التنصيص (١٢) أن المعتصم « أمر للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم ، جرت تفرقتها على يد ابن أبى دؤاد . فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف » . وقصيدة محمد بن وهيب مطلعها :

طلول ومغانيها تناجيها وتبكيها

ومنها قوله :

بعثت الخيل ، والخير عقيد بنواصيها

قال أحمد بن أبى كامل : قلت لعلى بن يحيى بن المنجم : أولا تعجب من هذا الحظ ، يعطى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا ، وبينهما كما بين السماء والأرض ؟ فقال : لذلك علة لا تعرفها ؛ كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذه الحال

(١٢) معاهد التنصيص للعباسى : ج ١ ص ٧٨

(للكلام بقية) محمود عزت عرفة

٢ – الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ – ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانووكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

مسجد وكنج :

لقد اتصل به وبصديقه ورفيقه الشيخ نور أحمد ، أن فى ضاحية وكنج التى تبعد خمسين ميلا عن لندن ، مسجداً لا يشغله أحد ، ويكاد يصبح أنقاضاً لقلة العناية به . وقد بنت هذا المسجد صاحبة العظمة أميرة بهوبال بناء على رغبة المرحوم الطيب الذكر الدكتور هنرى لير ، المستشرق الذى شغل فى بعض أوقاته فى فى الهند منصب المسجل فى جامعة البنجاب ، وبعد موته لم يعن أحد من ورثته بالمسجد فآل إلى الخراب عام ١٩١٢ ، فاغتنم الشيخ أحمد نور وخواجة كمال الدين الفرصة واحتلا المسجد . ولكن ورثة الدكتور لير طلبا إليهما إخلاءه ، فاستجار المسلمان المجاهدان بالسير عباس الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب العضو المسلم فى مجلس سكرتيرية حكومة الهند ، فأوجد لهما التبرعات والمساعدات التى أرضت ورثة الدكتور لير ، ولما أقبلت سنة ١٩١٣ كان خواجة كمال الدين إمام المسجد المسؤول عن إدارته ، واستقر على مقربة منه فى سكينة وسلام بقية الأيام التى عاشها فى بريطانيا ، ونقل مركز نشاطه إليه ، وسماه مسجد الشاه نسبة إلى جده حاكم بهوبال الحالى ، وافتتح للمرة الأولى منذ تشييده للمصلين

مجلة إسلامك ريفيو :

ابتدأ منذ سنة ١٩١٢ ينشر على نفقته الخاصة مجلة شهرية سماها « إسلامك ريفيو » ، ما لبثت أن لاقت انتشارا واسعا فى جميع بلاد المسلمين ، حتى فى النائية جدا منها . ولقد بلغنا أن هذه المجلة الإسلامية واسعة الانتشار فى الشمال الشرقى من التركستان الصينية . وفى السنة التالية أصدر مجلة باللغة الأردية ليقرأها المسلمون فى الهند سماها (رسالة لإشاعة الإسلام) وظل يشرف على تحريرهما حتى لبى نداء ربه عام ١٩٣٢

نشاطه

قال الدكتور يمينى رئيس الجمعية الإسلامية فى زانغون فى بورما من خطاب ألقاه فى مسجد وكنج أثناء حياة خواجة كمال الدين « لقد جذبت محاضراته المتعددة ، ومواعظه التى تحرك العواطف ، قلوبا مستمعية ، وراحت تلك الخطب والمواعظ تصل إلى كل جزء من الجزيرة البريطانية ، فى صور متنوعة من الكتب الصغيرة »

ولم يمض وقت طويل على نشاطه الجبار ، حتى اعتنق الإسلام أكثر من ألف رجل وامرأة من الإنجليز ، ومن بين هؤلاء المسلمين شخصيات مشهورة كاللورد هدلى ، بدأ حملته التى كانت تهدف إلى بناء مسجد (نزاميا) فى لندن ؛ فتألفت لجنة برآسة اللورد هدلى كانت سببا مباشرا فى تأسيس الجمعية الإسلامية فى بريطانيا العظمى فى لندن ، وافتتحت أبوابها للمسلمين من أنحاء الأرض ، وبقى اللورد هدلى رئيسا لها حتى توفاه الله إلى رحمته عام ١٩٣٥

إن نجاحه العظيم فى مثل هـذا الوقت القصير ليدعو إلى الدهشة والإعجاب . فنى عام ١٩٢٥ رافقه اللورد هدلى فى حجه الثانى إلى مكة . والآن وبعد سبعة وثلاثين عاما من هذا الجهاد المقدس ، قد لا نستطيع أيضا إدراك المتاعب التى كان يلاقيها من يدعو للاسلام فى إنجلترا قبل الحرب العالمية الأولى . ولعل مولانا محمد على — مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية ورئيس الجمعية الإسلامية فىلاهور بالباكستان — استطاع فى ذلك الوقت وصف هذه المصاعب حين قال : « هنـا كان إنسان من شعب محكوم فى طريقه إلى الأمة التى حكمت بلاده ، يتجه من بلاد مازالت تمد فى أسفل درجات سلم الحضارة إلى بلاد تقف على قمة ذلك السلم ، ليحول سكان هـذه البلاد الراقية ، إلى دين قومه ؛ يحول الناس عن الديانة التى تعتبر عاملا أساسيا فى تقدم أوروبا فى الناحية العلمية والمادية والسيطرة على الدنيا ، إلى ديانة أصبحت لديهم مرادفة للانحطاط والجهل والذل » .

نشاطه الأدبى :

لقد كان بعيد النظر جدا حين بقى بعيداً عن السياسة ، ولم يرفع عقيرته حتى رأى الخطر يقترب من الإسلام ، ولـكنه كان لا يسكت إذا مس إنسان الإسلام من قريب أومن بعيد . ولذلك ألف كتابين فى الرد على بعض الجماعات الإنجليزية حين تعرضت للاسلام وهما : (الهند فى الميزان) و (البيت المقسم)

وفى سنة ١٩١٧ اتخذ العدة لطبع ترجمة محمد على للقرآن ـ فى وكنج ، وهو عمل له خطورته البالغة فى ذلك الوقت . أما آثاره الأدبية فتزيد على مائة كتاب معظمها عن الإسلام والأمور الدينية الأخرى ومن خير مؤلفاته :

(١) مصادر الديانة المسيحية (٢) النبى المثالى (٣) نحو الإسلام (٤) إنجيل العمل

تعمقه فى دراسة القرآن الـكريم :

وزيادة على ما ألف ، فقـد كان يعد كتابا ضخما سماه « تعليقات على القرآن الـكريم » الذى لم يتمـه ، وكانت سعـة اطلاعه على القرآن موضع إعجاب معاصريه وتقديرهم . فلقد قال عنه الشيخ حسن مشير كدواى : « إن قوة خواجة كمال الدين كانت تنبعث من الـكتاب المعجز ـ القرآن الـكريم ، لقد درس القرآن دراسـة عميقة على الرغم من أنه من غير العرب ، وكل أحاديثه كانت مستمدة منه » وقال عنه اللورد هدلى : « لم يسبق لى أن رأيت إنسانا قبله ، فى مقـدوره التعبير عن آيات الله المعجزات فى سهولة لم يتحها إلا للأنبياء والمرسلين »

محاربته الطائفية

وميزة كبرى من ميزات خواجة كمال الدين هى أنه — وهو يدعو لنشر الإسلام — قد نجح إلى حد بعيد فى إزالة النعرات الطائفية من نفوس المسلمين الذين كان يتصل بهم ؛ وقد وصف هـذا العمل تلميذه ومساعده المستر يعقوب خان ، رئيس تحرير صحيفة (ليت) التى تصدر الآن فى الباكستان باللغة الإنجليزية بقوله : « لا طائفية فى الإسلام » ، كانت هذه الجملة شعاره فى الحملة التى قام بها خواجـة كمال الدين ، فأصبحت وكنج ملتقى الطوائف من المسلمين من السنيين ، والشيعة ، والوهـابيين ، والأحمديين ؛ يجتمع كل أولئك إخوانا على سرر متقابلين ، فكان منظر هذه الوحدة موضع إعجاب الإنجليز ، وهو بعمله هذا قد ضرب مثلا رائعا للمسلمين، فمهد بذلك الطريق إلى نهضة الإسلام التى تأخذ طريقها إلى عالم الوجود . »

نشاطه فى أوربا :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أخـذ تأثيره يمتـد إلى ما وراء الجزيرة البريطانية ؛ حتى عم جميع أوربا ، فـكان معروفا فى فرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا التى زارها عدة مرات . وكان من أثر الدعوة إلى الإسلام باللغة الإنجليزية فى بريطانيا أن تأسيس مركز فى برلين للجمعية الإسلامية الباكستانية ، ولم تمض نهاية سنة ١٩٦٠ حتى شيد مسجد فى عاصمة الألمان على نفقة تلك

الجمعيـــة ، وتأسس فى باريس مسجد آخر من تأثير خواجة كمال الدين ، لأن فرنسا — وهى دولة استعمارية تحكم عددا من المسلمين — لا تحب أن تسبقها بريطانيا وألمانيا فى هذا المضمار . أما أقطار أوربا الأخرى ، فنعرف أن تأثيره امتد حتى شمل بولندا ، فترجم أحد مؤلفاته عن الإسلام إلى اللغة البولندية فى نهاية عام ١٩٣٠

نشاطه فى بلاد الإسلام

لقد امتدت جذور نشاطه فى بلاد الإسلام أكثر من امتدادها فى أوروبا ، وخاصة فى أفريقيا وآسيا، القارتين اللتين تعرضتا لتيار عنيف من الثقافة البريطانية ، فكانت مجلته إسلامك ريفيو تلاقى انتشارا واسعا بين المسلمين . وقد زار عدة مرات بلاد الإسلام وخاصة فى مواسم الحج حيث زار الأماكن المقدسة حاجا مرتين ، عام ١٩١٠ ، و١٩٢٣ . ثم قام برحلة طويلة وصل بها إلى سنغافورا وجاوا ، وكان يقابل بالترحاب فى كل دولة وخاصة فى مصر المضيافة العظيمة ، إذ استقبل فيها استقبالا حارا ، واستمعت إلى فصاحته جماهير غفيرة من المسلمين وهو يتدفق كالسيل عن الدين الحنيف

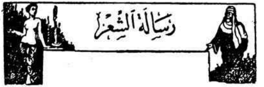
أيامه الأخيرة

أخذت صحته تنهار حوالى سنة ١٩٢٧ من جراء نشاطه الجبار ، وعمله الشاق ، فترك إنجلترا راجعا إلى مسقط رأسه فى بلاد الهند . وقبل أن يغادر بريطانيا ألف مجلس أمناء لرعاية المسجد ، ووقف جميع ما يملك ، وتقدر قيمته بمائة وخمسين ألف روبية ، على الجمعية الإسلامية فى ووكنج ، وحول إلى هذه الجمعية كافة الحقوق المتعلقة بطبع مؤلفاته أو ترجمتها ، وكذلك مجلة إسلامك ريفيو

وزاد عليه المرض وألح ، فانحطت قواه ، وراح يعانى آلاما مبرحة من أمراض صدرية احتملها بصبر عجيب وجلد نادر ، مدة خمس سنوات . وعلى الرغم من تعاليم الأطباء المشددة بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، فإنه لم يرح دقيقة واحدة ، وعلى الرغم من عدم استطاعته حمل اليراع ، فقد كان يملى البحوث الضافية ، والمقالات الرائعة ، حتى الكتب ، عن الإسلام . وقبل موته بساعات فى مدينة لاهور بالباكستان فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٣٢ الموافق أول رمضان عام ١٣٥١ هجرية أملى آخر فقرة من تعليقه على القرآن الكريم ، وقد نشر ذلك التعليق فى عدد إسلامك ريفيو الصادر — فى إبريل — عام ١٩٣٣ . وحتى النفس الأخيرة من تلك الحياة المجيدة ، عمل جاهدا فى سبيل الإسلام ومات وكانت آخر الكلمات التى ودع به الدنيا تدور حول الجهاد العظيم فى مسجد ووكنج تحت راية الإسلام . رحمه الله رحمة واسعة

للكلام صلة

على محمد سرطاوى



شيخ القضـــــاة

للأستاذ محمود غنيم

نضو السهاد أطال من إغفائه … وشفاه شافى الموت من برحائه
ألقى عصاه واستراح بعرفأ … يلقى المجاهد فيه حسن جزائه
مات الذى لم ينس مصر أو الردى … يمشي بطيء الخطو فى أعضائه
ما زال فى الميدان يحمل سيفه … ويصول حتى خر من إعيائه
كان الهتاف لمصر كل أنينه … فوق الفراش وكان بعض دوائه

* * *

عبد العزيز خلا بمصر مكانه … فى طول ساحته وعرض فضائه
كون برمته خلا من أهله … يا من لهذا الكون بعد خلائه
هبة الهبات سخا الزمان بها على … هذا الوجود وضن بعد سخائه
لهفى عليه وألف لهفى ما خبت … شمس الضحى وخبا شعاع ذكائه
الموت أطفأ ذلك الذهن الذى … عجز الضنا والشيب عن إطفائه
جسم نحيل غير أن وراءه … أفقاً يتيه الظن فى أرجائه
وقريحة نفاذة لو وكلت … بالغيب ما عيت بكشف غطائه
قالوا السياسة قلت كان إمامها … أما القضاء فكان بدر سمائه
كم جولة فى مجمع الفصحى له … بين النجوم الزهر من علمائه
والعبقرية أينما وجهتهـــا … تسمو بصاحبها على نظرائه

* * *

لما نعى شيخ القضاة نعاته … قلنا قضاء الله فوق قضائه
حكم مضى كالسهم فيمن حكمه … قد كان مثل السهم عند مضائه
بكت العدالة يوم مات كأنه … صخر بكته مقلتا خنسائه
عرفته يفنى فى سبيل حياتها … ويقيم حائطهـا على أشلائه
دستورها ما خط من أحكامه … وتناقل الفقهـاء من آرائه

* * *

مات الذى اشترك الأحبة والعدا … بقلوبهم فى نعيه وبكائه
لا تنثروا الأزهار حول ضريحه … فخلاله ينفحن فى أنحائه
هتفت شمائلـه بملء لهاتهـا … ترثيه قبل هتافنـا برثائه
والله ما نظم الرثاء لراحل … كلسان ما أسداه من آلائه
ومن الثناء ممحض ومموه … لـكن صدق القول غير ريائه
هذا الذى ولى نقى الثوب ما … من شبهة علقت بذيل ردائه
قد كان أرفع قيمة من دهره … وأجل من حرمانه وعطائه
النفى لم يقدر على إخضاعه … والحـكم لم يقدر على إغرائه
من أجل مصر ما يجيش بصدره … من حبه للناس أو بغضائه
وإذا أحب فلن تراه محابيـا … شتان بين حبيبه وحبائه
يهوى ويقلى وهو فى كلتيهما … بالعقل مغلوب على أهوائه
وينال بالإسفاف منـه غريمه … وبغير ذاك ينال من غرمائه
خصم شريف إذ يصول ورعا … أغضى فكان القتل فى إغضائه
حر حمى الأنف إن سيم الأذى … فالموت كل الموت دون رضائه
أنف لو ان الخلاشيب هواؤه … بغبار ضيم عاف شم هوائه
وصراحة فى الرأى يبديه وإن … لم يرض ذو الجبروت عن إبدائه
عجبى له كيف استطاع الصدق فى … لغة السياسة وهى من أعدائه
قد كان فى هذا الزمان وأهله … معنى جميـلا فى كتاب شائه
لو كان صادف مثله (دوجين) لم … يبحث عن الرجل الشريف التائه

* * *

هذا الرفات سجل أكبر ثورة … بالله لا تطووه عن قرائه
خطوا على مرأى العيون ضريحه … ثم اكتبوا التاريخ من إملائه

القصيدة التى ألقاها الأستاذ محمود غنيم فى الحفلة الكبرى التى أقيمت بدار حزب الأحرار الدستوريين لتأبين المغفور له عبد العزيز فهمى باشا

وخذوا الحقائق عنه بعد مماته ... والميت مؤتمن على أنبائه
هذا بقية معشر قد خط في ... صحف الجهاد كتابه بدمائه
اليوم نفقد صاحبيه بفقده ... فنى الثلاثة جملة بفنائه
لما أهاب النيل في الجلى بهم ... لبوه أطهر أنفسا من مائه
فتحوا على المحتل باب عرينه ... واقوه وهو يتيه في غلوائه
وسلاحه بدم العدو مخضب ... والنصر معقود بظل لوائه
كي ينزعوا من بين فكيه لهم ... حقا صراحا حان يوم قضائه
ما كافأوه قوة لكنهم ... بالحق والايمان من أكفائه
رحماك يا عبد العزيز أفلت في ... ليل يضل النجم في ظلمائه
رحماك مازال الدخيل يجوس في ... أرض الحمى ويطير في أجوائه
ليت المنية أمهلتك هنيهة ... حتى ترى عيناك يوم جلائه
هيهات لاطاحت به حرب ولا ... نجحت عهود السلم في إقصائه
في كل يوم علة لبقائهم ... تبدو بوجه غاض ماء حيائه
أديت للأوطان كامل حقها ... لكن حقك لم تقم بادائه
لو كان أنصفك الحمى حيا لما ... قاسيت ما قاسيت من إيذائه
أو كان أنصفك الحمى ميتا غدا ... مثواك فيه يطاف حول بنائه
لكنه وطن يحط الشوك في ... طرقات من يسعى إلى إعلائه
يارب دستور نظمت بنوده ... نظم الجمان وكنت كبش فدائه
يا كابر الأحرار حزبك ريع في ... حر أبي النفس من خلفائه
جددت أحزان الحمى في معشر ... إن يشك داء كان بلسم دائه
عدلي ومن عدلي وثروت وهو من ... هو في أصالة رأيه ودهائه
« ومحمد » ولي ومن كمحمد ... من مثله في نبله وآبائه
نفر إذا الدستور في مصر انتمى ... فهم الكرام الصيد من إبائه
حكموا فما عبثوا بأموال الحمى ... وشروا سعادتهم بطول شقائه
أو خاصموا المحتل خارج حكمهم ... فاذا تولوا بادروا بولائه

***

يا وافيا بعهوده لبلاده ... ولكل من عرفوه من خلطائه
ولوردة عاشت حياة الورد ما ... راع ابنها أو راعها بينأته
لله درك تنصف الأموات في ... زمن تفشى الجور في أحيائه
أقسمت أنك في وفائك منة ... لرجال عصرك في رقاب نسائه
قالوا السموءل قلت لو أدركته ... لم يضربوا أمثالهم بوفائه
عبد العزيز ولا أزيدك خبرة ... بالموت كل شارب باانائه
قد كنت تبقى لو تكفلت العلا ... والمكرمات لربها ببقائه
لكن عدوى الموت عدوى لم تزل ... من آدم تسرى إلى أبنائه
يهنى سماء الله أنك جارها ... والخلد أنك نازل بفنائه
أقسمت لو جزع الصباح على امرىء ... ما لاح بعدك مشرقا بضيائه

غنيم محمود

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

نحن المساكين من سامعي الإذاعة

كنا نسكن في إحدى ضواحي القاهرة ، ونعمنا فيها زمانا بالهدوء والجمال، ثم أغارت علينا أسراب البعوض فنغصتنا وكدرت صفونا ، وأخرجتنا من ذلك العش الهادئ ، كما أخرج الشيطان أبوينا آدم وحواء من الجنة ... ولجأنا إلى شقة بحي من أحياء القاهرة الزاخرة العامرة . وتنفسنا الصعداء ، إذ صرنا بنجوة من ذلك الذي كان يلدغ أجسادنا فيعكر دماءنا ، ولكن سرعان ما تبين لنا أن صروف الدهر لا تزال تترصدنا ، فقد أبدلتنا بالبعوض الإذاعة .. ورأينا برامج الثانية أشد تبريحا من زبانى الأول ، هذا ينال من الجسد ، وتلك تنكل بالذوق السليم . وقد كنا نحاول أن نتقى البعوض بغلق النوافذ ورش السوائل المبيدة ، ولكن لا بد لنا من الهواء ، فإذا فتحنا له دخل العدو المهاجم معه . ولم يكن البعوض بمنزلنا فقط حتى نستطيع حصاره فيه وإبادته ، وإنما هو يأتينا من كل مكان في الضاحية ، فإن قتلنا منه رسلا أقبلت أرسال . وكذلك صار حالنا مع الإذاعة ، نقفل مذياعنا ، فتهاجمنا أصواتها من مذياع الجيران ، وبكل شقة مذياع ، ولكن هذه الشقة التي تقع تحتنا يسكنها « فسخاني » الحي ، وهو رجل عريض القدر كبير المقام ، لأنه « فسخاني » الحي كله .. ومذياعه على قدر مقامه وعلو قدره ، فلا بد أن يعلو صوته حتى يسمع من لا يحب أن يسمع .. والرجل يحب ألوان الغناء التي لا أسيغها بل لا أطيقها ، وخاصة « التواشيح » التي يتغنى بها « الفقها » في الموالد ، التي تنقلها الإذاعة المصرية بعجرها وبجرها ، فتصك الأسماع وتؤذي الأذواق السليمة بما تجلجل أصوات المنشدين وما تطلقه حناجر المستميتين .

وما زلت أعاني عقابيل « السهرة » الأخيرة التي احتفل فيها بمولد سيدي مرزوق الأحمدي في مسجده بالجمالية ، ولم تفت الفرصة إذاعتنا الهمامة ، فشمرت عن ساعد « الميكرفون » وراحت تبحث في تلك الأزقة حتى بلغت ضريح « سيدى مرزوق الأحمدى » ومن الإنصاف أن نسجل لها ذلك الجهد الكبير الذي كشفت به ذاك الضريح فبزت بهذا الكشف « كولمبس » وغيره من كبار المستكشفين .. فما كنا نعرف « سيدى مرزوق الأحمدى » قبل اليوم وما كنا نسمع له ذكرا..

في تلك « السهرة » سمعنا عجبا .. بدأ المذيع يقول نحن الآن في مسجد سيدى مرزوق الأحمدى — ووصف موقعه بالضبط — لنذيع عليكم الاحتفال بمولده . . . يالها من همة . . يزيدها شأنا علو مذياع جارنا « الفسخاني » المفروض علينا سماعه فرضاً ! ثم غنى « الفقى » ومعه « تخته » يردد ما ينشده ويحكى عبثه وتكسره .. وكلما ارتفعت أصوات الاستحسان تمادى في تقطيع أوصال الكلمات وتشويه نطقها بمختلف الأفانين ، كأن يقول :

« نابى (نبى) ألبس الدنيا جمالا » ويمد الرجل نون « نبى » ما ساعده نفسه وهو طويل ... وهو يخلط ما ينشد ، يأتى ببيت من منظومة وآخر من أخرى ، ثم يسترسل في نثر مسجوع ، ويتضمن كل ذلك معاني سخيفة وخيالا سقيما، ومما علق بالذاكرة

يا آل بيت النبى عبيدكم غلبت ... عليه شقوته والساعة اقتربت

منوا على من به أيدي النوى لعبت

ومنه :

« في يوم مولده اهتز العرش طربا ، ومال الكرسى عجبا » ويستمر في كلام غث يتحدث به عما يزعم أنه وقع يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا الكلام أن الحيتان في قمر البحار .. لست أدرى ماذا فعلت !

ويدرك كل ذي ثقافة إسلامية صحيحة ما في ذلك الكلام كله من انحراف عن جادة الفكر الإسلامي السليم . ولكن الإذاعة المصرية لا تدرك ذلك ، لأنها جاهلة ، وجهلها مركب ، إذ تضيف إلى جهلها أن تذيع هذه الحفلات على أنها حفلات دينية وتجترم تشويه الدين بإذاعة هذا السخف باعتباره من مظاهر الدين !

ذلك قليل من كثير ، مما تصيبنا به الإذاعة التي نسمعها على كره . وهو مثل من المهزلة الإذاعية التي تمثل في هذه البلاد المسكينة

إلى معالي وزير المعارف

مسكينة بنيتى الصغيرة ! كانت ناعمة بطفولتها ، تغدو إلى « الروضة » فى شوق وإقبال ، وتروح إلى البيت فى مراح ونشاط ، تحصل ما يلقى إليها فى أثناء المرح واللعب ، بل تلتقطه كما يلتقط الطير الحب ، شهيا مريئا . ثم تبدل الحال ، إذ أصبحت تنوء بالواجب الدرسى ولما تزل فى الروضة ! هذه عمليات حسابية ، وتلك قطع إملائية ، وغير ذلك ، مما لا يناسب عقلها الصغير ، ولا يلائم طورها فى التعلم

ومسكين أنا ! لقد كنت سعيداً مغتبطا بما كنت ألحظه فى بنيتى من شدة الرغبة فى التعليم ، وها أنذا أرى الجذوة المتقدة فى قلبها تكاد تخبو ! وقد علمنا أن لا شىء أخطر على مستقبل الناشئ من إرهاقه وتبغيض التعلم إليه ، ولهذا لم يكن يهمنى مقدار ما تحصله ابنتى بقدر ما يهمنى أن تظل جذوة الرغبة فى العلم متقدة بقلبها

لذلك رحت أتقصى الأمر ، وقد تبادر إلى ذهنى أولا أن هذه الروضة التى انتقلت إليها الطفلة هذا العام تسير فى نهج غير الروضة التى قضت فيها العامين الماضيين ، ولكن علمت بعد ، أن أطفال الرياض سيمتحنون آخر العام امتحانا عاما ! وعلى ذلك راحت المدرسة التى كانت روضة ، توسل إلى كل شهر تقريرات عن الطفلة تثير العجب ، فليس بها أية ملاحظات تربوية ، بل تكاد كلها تكون صورة واحدة مضمونها أن الطفلة فى حاجة إلى عناية ! أية عناية بالله ؟! أهل أستأجر لها معلما خصوصيا؟ وهل أنا أرسل ابنتى إلى روضة أطفال تعالج فيها بوسائل التربية الحديثة التى تقوم على التشويق والمرح ، أو أبعث بها إلى مدرسة تلقنها المعلومات وتحشو ذهنها بما لا يقوى على هضمه ، وتريد المدرسة أن أعينها على هذا الحشو والتلقين ، بل أقول الإفساد والتشويه !

كنت أسمع شكوى بعض من يلى أمر التعليم فى المدارس الابتدائية ، من ضعف التلاميذ الذين تخرجوا فى الرياض بالقياس إلى من تسلموا فى المدارس الأولية ، وهى شكوى تدل على ضيق الأفق ، لأن المعلومات والمهارة التعليمية التى اكتسبها الفريق الثانى إنما جاءت على حساب الإهمال فى التربية الفكرية والذوقية والجسمية التى يهتم بها فى الرياض ، أو المفروض أن يهتم بها فيها ، إلى مافى التبكير والإسراع فى التزويد بالمعلومات من القسر والإرهاق اللذين لا يتحقق معهما شعور المتعلم بفائدة ما يتعلمه واقتناعه بحاجته إليه

فهل ذاك الامتحان المزمع ، انتصار لشكوى الآلات التى لا تحسن إلا الحشو والضغط كما تحشى عياب القطن وتضغط لتحتوى على أكبر كمية ممكنة .. ؟

وأكبر العجب أن يكون ذلك ؟

كشكول الأسبوع

▫ كانت لجنة جوائز فؤاد الأول للادب ، قد قررت أن تمنح جائزة هذا العام وجائزة العام الماضى (المؤجلة) للاقاصيص والمسرحيات النثرية الصغيرة وقدر كل من الجائزتين ألف جنيه . وقد احتفل بتوزيع هاتين الجائزتين والجوائز الأخرى للعلوم والقانون ، يوم السبت ٢٨ أبريل فى ذكرى المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ، فنال جائزتى الأدب الأستاذان محمود تيمور بك وتوفيق الحكيم ، الأول عن مجموعتى « كل عام وأنتم بخير » و « إحسان الله » ، والثانى عن مجموعة « مسرح المجتمع » والأستاذان الكبيران جديران بهذا التتويج الأدبى ، وهو أقل ما يكافآن به لقاء ما يقدمان فى عالم الأدب والفن من إنتاج حى رفيع

▫ تلقى معالى الدكتور طه حسين باشا دعوة من اليونسكو وحكومة الهند ، لحضور مؤتمر الفلسفة الذى سيعقد فى دلهى الجديدة من ١٣ إلى ٢٠ ديسمبر القادم ، ليبحث فى المثل الأعلى للانسان وفى التربية فى العالمين الشرقي والغربي . وقد دعى إلى هذا المؤتمر عشرة فقط من أعلام المفكرين فى العالم

▫ احتفلت السفارة الباكستانية بذكري الشاعر والفيلسوف الإسلامى الكبير المغفور له محمد إقبال ، يوم السبت الماضي بنقابة الصحفيين ، وقد افتتح الحفل بكلمة مناسبة الأستاذ شريف الحسن الملحق الصحفى بالسفارة ، وقد سرنا أن هذه الكلمة كانت باللغة العربية . وخير ما ألقى فى الحفلة كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد وقصيدة الأستاذ عزيز أباظة

▫ حاولت ان أقرأ « المقامة العرفانية » التى نشرت فى العدد الأسبق من « الرسالة » للاستاذ ابرهيم الابيارى ، فلم أستطع . وقد فهمت من تعليق الرسالة عليها أن مفتاح فهم المقامة هو الصبر . . فبحثت عن هذا المفتاح فلم أهتد إليه إلا فى شخص الصديق الكريم الأستاذ الابيارى نفسه .. فهل لى أن أستدرك على تعليق الرسالة بأن الكاتب هو المفتاح .. ولعلى أذيع سرا .. إذ قلت إن الخطاب فى المقامة موجه إلى معالى الدكتور طه حسين باشا ، والمقصود

وعلى رأس وزارة المعارف الدكتور طه حسين باشا ، وفى الوقت الذى يعلن فيه الحرب على الامتحانات .. فى الوقت الذى قرأنا فيه كلمة معاليه فى اجتماع مجلس التعليم الأعلى ، التى يقول فيها :

« أما البرامج فإنها مثقلة إلى حد لا يطاق ، وهى على إثقالها لا تثقف كما ينبغى أن يثقف الطالب ، والخير كل الخير أن ناتى إلى التلاميذ ما يقبلونه وما ينتفعون به دون إرهـاق . أما الامتحانات عندنا فهى كارثة الكوارث لا يكاد الطفل يدخل المدرسة حتى يمتحن من سنة إلى سنة ، ونحن فى هذا نكاد ننفرد بهذه الملة دون كثير من الأمم المتحضرة »

أكبر الظن أن معاليه لا يعلم بهذه الكارثة التى توشك أن تنقض على هذه القطع النضة الصغيرة من أكبادنا التى تتناثر فى رياض الأطفال . إن هـذا السخف لا يمكن أن يتم برضاء ذلك المفكر الكبير الذى يحارب – فيما يحارب – هذا السخف .. ويعمل على إبعاده عن الكبار ، فما بالك بالصغار !

يا معالى الباشا ، أدرك تلك الزهرات قبل أن تدعكها أيدى الجفاة ..

ذكرى قاسم أمين

احتفل الاتحاد النسائى يوم الاثنين الماضى ، بذكرى وفاة نصير المرأة والداعى الأول إلى تحريرها قاسم أمين . وقـد ألقت كلمة الاتحاد النسائى السيدة إحسان القوصى

بـ « العرفانية » نعرف العلم والعرفان ، فهل يعلم معاليه بهذا السر ؟ وما إخاله فى حاجة إلى أن أدله على المفتاح

◻ لحن المذيعين والمذيعات فى محطة الإذاعة ، ظاهرة معروفة ، وهو فيها من الأمراض المتوطنة ، وقد لوحظ أخيرا أن هذا اللحن قد تفشى وكثر حتى صار الناس يسمعون منه ألوانا تدل على جهل فاضح . وقد سمعت مذيعة تقول : استقبل رفعة رئيس الوزراء فلانا وفلانا ... وغيرهم من علية القوم . ونطقت « علية » بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء .. وسمعت أيضا مذيعة تقول فى تقديم قصيدة غنتها شهر زاد لأبى فراس الحمدانى ، فنطقت اسم الشاعر هكذا « أبو فراس الهمذاني » وشددت راء « فراس » فهل أصبحت الإذاعة مباءة لأهل اللحن (بمعنيه) المزعج !!

◻ نقلت الإذاعة يوم الخميس الماضى ، حفلة أقامتها إدارة النشاط الاجتماعي والرياضي فى وزارة المعارف ، لفرق مدرسية جاءت إلى مصر من الأقطار الشقيقة ، وخطب الأستاذ محمد فتحي بك مراقب الادارة قائلا : ياشباب العرب ، فى هـذه الحفلة التى تذاع بالخارج يسمعكم ذويكم ! فسمعه ذووهم وغير ذويهم .. فهل انتقل اللحن من الإذاعة إلى وزارة المعارف ؟

◻ تتجه النية فى وزارة المعارف إلى إنشاء معهد لإحياء ودراسة الآثار الإسلامية باسطنبول على غرار معهد فاروق الأول بمدريد

◻ أعلنت المراقبة العامة للتصدير ، أنه تقرر استثناء الكتب الدينية والكتب الخاصة بنشر ثمرة الفكر المصرى من قرار حظر تصدير المطبوعات . ويقول « خبيث » من الموظفين المتصلين بهـذا الموضوع إنه صاحب تعبير « ثمرة الفكر المصرى » وإنه يقصد بذلك ألا يدخل فى إباحة التصدير الكتب التى تطبع فى مصر لمؤلفين من الخارج !

◻ خطب فضيلة الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز فى وفد الصحافة الباكستانى عند زيارته للازهر ، فقال : اعملوا على تأسيس الكتلة الإسلامية لتقف فى العالم إلى جانب الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، فرد عليه أحد الصحفيين : ولم لا يسعى الأزهر لإنشاء هذه الكتلة . ؟

فتحدثت عن قاسم أمين من حيث دعوته إلى تحرير المرأة ، وأفاضت فى الحديث عن النهضة النسوية ، وقـد أحسنت بقولها إن المرأة ليست زينة المجالس بحليها وزيها ، وإنما هى كذلك بما تشعر الرجل به من احترامها واعتبارها ، إذ تناقشه فى مختلف الشئون الفكرية والعلمية والأدبية

وتحدث الشيخ المحترم محمد خطاب بك عن صاحب الذكرى ، فنبه إلى أمرين : الأول أن تحرير المرأة فى رأى قاسم أمين لم يكن أمرا قائما بذاته ، وإنما كان ينظر إليه على أنه الركن الأساسى فى نهضة البلاد ؛ والأمر الثانى أنه كان يصدر فى دعوته عن إيمان بمطابقتها للدين الإسلامى ، فاهتم بتفنيد الطعن الذى وجه إليه من حيث نظره إلى المرأة ، ورفض أن يقصر دعوته على الناحية الاجتماعية . وكان خطاب بك يبدو ملما بالنواحى المختلفة لقاسم أمين وهو من قرابته وصحابته – ولكنه كان يرتجل فلم يسعفه الارتجال على إيفاء الموضوع حقه ، وكان يقرأ أحيانا من ورقة مكتوبة بالعربية ولكن القراءة غير عربية . ولجأ كثيرا إلى العامية ، فاضطرب بين هذه وتلك ، ولم تستقم له إحداهما ! وقد قال فى أول كلمته إن وفاءه للراحلين أكثر منه للأحياء ، وإنه وفى خاصة لقاسم أمين لمكانه منه ، وحث فى آخر الكلمة على الاهتمام بدراسته . ولو أنه أعد موضوعه كتابة لكان أدنى

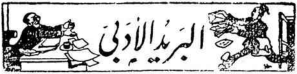
إلى الوفاء والدراسة ..

ثم تحدث الأستاذ أحمد حسن الزيات حديثا أشعر أن الصفة المطابقة له هي أنه ممتع. لأنه يمد كلا من العقل والشعور بحاجته من الفائدة والإمتاع. وترى كلمة الأستاذ في صدر هذا العدد من « الرسالة »

وألقت الآنسة منيرة عبد الرازق كلمة المرأة العراقية في هذه الذكرى، فتحدثت عن صدى دعوة قاسم أمين في العراق، وخصت بالحديث الشاعرين العراقيين الزهاوي والرصافي من حيث تأثرهما بآراء قاسم أمين

وقد تعاقب خطيبات أخريات، وكانت كلماتهن - كما كان جل ما قيل في الحفل - يدور حول النهضة النسائية وحقوق المرأة. ولم يكن للمحتفل بذكراه من الاهتمام إلا بما يتعلق بهذه الحقوق وتلك النهضة، فلم نسمع حديثا عن الجوانب الأخرى لقاسم أمين، فيما عدا ما قاله الأستاذ الزيات عن أدبه وعن مكانه من النهضة، وفيما عدا الإلماع الخاطف إلى بعض النقط العامة للبلاد، في كلمة خطاب بك. ولعل في هذا فكرة مصغرة للنهضة النسائية في بلادنا، فالمرأة تبدئ وتعيد في المساواة والحقوق، وتخصص تسعة وتسعين من المائة من جهدها لهذا الميدان، أما الواحد الباقي من المائة فهو للأعمال المنتجة في خدمة المجتمع

عباس خضر



تصحيح واجب

لفت نظري أخيرا بعض الإخوان الأفاضل إلى وجوب تصحيح كلمة ورد فيها اسمي، وأثارت تعليقا طويلا من الحجاز، ذلك بأن الشاب النابه محمد إبراهيم الخطيب شكا في الرسالة من بعض ما يلقى في الأزهر من علم لا يساير العصر، ولا يرد كيد بعض الطوائف التي تبذر الشك في عقيدة المسلمين كالوهابية والإسماعيلية. ثم قال ولست بأول من جهر بهذا، فقد سبقني إليه أساتذة أجلاء، منهم أستاذي الدكتور محمد يوسف موسى.. إلى آخر ما قال.

وقدرد على هذا في كلمة طويلة الأستاذ الشيخ محمد الجاسر من الحجاز، يستعظم ويعجب أن يكون هذا الرأي لي قد ألقيته على تلاميذي بالكلية مع ما يعرف من دراساتي وتخصصي في الشؤون الإسلامية

والواقع أن الباحث المنصف مهما رأى ما يصح بل ما يجب نقده في الحالة التي عليها الحجاز أو البلاد العربية أو بلاد جزيرة العرب من ناحية العدل الاجتماعي وما يتصل بذلك، فإنه لا يمكن أن يزعم أن العقيدة السلفية التي تقوم عليها الدولة العربية السعودية هي عقيدة طائفة من طوائف المسلمين، بله طائفة تنخر في عظام الإسلام كما يتقول تلميذنا الخطيب!

لذلك، أرى من موقف بعض دعاة هذه العقيدة هنا من المصريين، وما هم عليه من الغلو الذي ينفر كثيرا من الناس ويحملهم حقا يشكون في عقيدتهم، سندا للرأي الذي أشار إليه هذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر

نسبة كتاب الى غير صاحبه

جاء في مقال الأستاذ ضياء الدخيلي عن الفارابي بالعدد ٩٢٩ من الرسالة الزهراء أن للأستاذ العقاد كتابا عن الفارابي من سلسلة أعلام الإسلام. والحق أن الكتاب المشار إليه وهو الحلقة التاسعة من تلك السلسلة التي انقطعت، إنما هو للأستاذ عباس محمود المتخرج في قسم الفلسفة من كلية الآداب بجامعة فؤاد. وإن أستاذنا العقاد غني بنتاجه الأدبي وبكتبه الفلسفية، ولا يعلي من مكانته أن أن ينسب إليه كتاب لم يكن له

عبد الرازق عبد ربه

أحبب حبيبك هونا ما

عقب أستاذنا الكبير محمود أبو رية على تعقيبي بشأن حديث

أحبب حبيبك هونا ما » وذكر أن الحديث رواه الترمذي وغيره ولكنهم تكلموا في كثير من رجاله ، ويبدو أنه من قول علي..

وأقول : إن الحافظ العراقي مخرج الأحاديث في كتاب إحياء علوم الدين ذكر ما نصه :

« حديث أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث، رواه الترمذي عن حديث أبي هريرة وقال غريب: قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه » انتهى

وقد ورد هذا الحديث في كتاب التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور على ناصف ، وعقب عليه المؤلف بأنه رواه عن أبي هريرة الترمذي والبيهقي والطبراني دون أن يشير إلى ضعفه

وقد ورد الحديث أيضا في كتاب مصباح الظلام .. لمؤلفه الجرداني وعقب عليه المؤلف بأنه رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير ، وغيرهم كالدارقطني في الأفراد وابن عدى في الكامل والبخاري في الأدب وهو حديث حسن كما في شرح العزيزي

محمد عبد الله السمان

الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام

كتاب جديد في الأدب العربي في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي يقع في نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير — طبعة المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية

من تأليف الأساتذة : حسن جاد ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، وعبد الحميد المسلوت، المدرسين بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

ودراسات الكتاب جديدة ومنظمة بأسلوب طريف ومناهج مستحدثة في البحث الأدبي ويطلب من المؤلفين

تحقيق مسألة

بمناسبة التعريف بكتاب (الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام) نلاحظ أن مؤلفيه الأفاضل لم يحسنوا النقل فيما نسبوه إلى كتابي (في أصول الأدب) كالعلاقة بين أدب وآدم في اللغة الشومرية مثلا، وأنهم ذكروا في الحاشية من صفحة ٣٦ أن من مصادر بحثهم في (العوامل المؤثرة في الأدب) أربعة مصادر ذكروا من بينها (في أصول الأدب). والحق أن الفصل بعنوانه تلخيص لمحاضرة ألقيتها ببغداد في ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠ ثم نشرتها هي وغيرها بعد ذلك في كتابي (في أصول الأدب) ، ولا أعلم كاتبا طرق هذا الموضوع ولا ذكر هذا العنوان قبل هذا التاريخ . وقد استأذنني صديق الدكتور عبد الوهاب عزام بك في أن يعتمد على هذه المحاضرة في نصيبه الذي كتبه من كتاب (التوجيه الأدبي) وكان من الإنصاف أن يشار إلى ذلك في هذا الكتاب وفي غيره.

الزيات

مذهب قديم

وردت في بريد الرسالة كلمة من العراق تحمل إشفاق صاحبها على مذهب جديد ، هو ما يقول به الآن الأديب (كمال بسيوني) وكنت أحب أن يعلم الشقيق النجيب أنه ليس هناك ابتكار ولا تجديد ، وإنما هو رأى أعلنه على الناس عميدنا الوزير — طه حسين باشا — محاضرا في قاعة الجمعية الجغرافية منذ عشرين عاما . وهذا نصه :

« فالشعر ضرورة من ضرورات الحياة في كل طور من أطوارها ، فإذا انقضى هذا الطور أصبح الشعر عاجزا عن أن يقوم بشيء من ذلك ، وأصبح النثر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة . والشعر الذي كان ضرورة أولا يصبح في الطور الثاني ضربا من الترف والزينة . والحياة لا تستطيع أن تستغنى عن كليهما . وكذلك عندما نلاحظ تاريخ الأمم التي كانت لها حياة أدبية ، وكان لها شعر ونثر ، نلاحظ أن حياتها قد بدأت شعرا ، وأن الشعر وجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمن طويل » ويمضي أعزه الله في الحديث إلى أن يقول : « فالأمم التي لها أدب ، قبل أن تعبر عن عواطفها وميولها بالنثر ، عبرت عن لذاتها وآلامها بالشعر ، وكان الشعر هو لسانها الأدبي ، فلما تطورت هذه الأمم وارتقى عقلها ، نشأ عن ذلك أن وجدت فيها أفكار وآراء عجز

الشعر عن أن يعبر عنها.(١)» وذلك قول يشق عن وجه الحقيقة النقاب .

وليس من معنى هذا القول أن نهمل متحدث اليوم فهو كاتب قدير ؛ إنما الواجب أن نناقشه على أساس أن للفرع أصلا

بركات

(١) القول بأسبقية الشعر على النثر – رأى يقول به الدكتور طه حسين باشا فى هذه الفقرات من كتابه (من حديث الشعر والنثر) والأستاذ الزيات فى كتابه القيم (تاريخ الأدب العربي) ويقول بعكسه الشيخ الإسكندرى والشيخ عنانى بك فى كتابهما (الوسيط)

ضر وضرر

رفع عالم جليل بحثا قيما طريفا إلى المجمع اللغوى الموقر فرق فيه بين الضر والضرر، ذاهبا إلى أن لفظ « الضرر » يستعمل فى أحوال العاهات فقط ، وشكك حضرته فى الاستشهاد بالحديث الشريف : « لاضرر ولا ضرار » مؤيدا رأيه بقوله تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله »

ولكن فات حضرته أن التنزيل الحكيم قد ورد به أيضا : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر» . وقد استعمل كلمة «الضر» و « الضرر » بمعنى واحد فإن هذا يدل على أنهما لفظان مترادفان . ولا محل بعد ذلك للتشكيك فى الحديث الشريف ، ولا للتضييق حيث أراد الله ورسوله التوسيع

عبد الحميد عمر

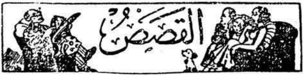
الرسالة

الأستاذ صاحب المقال المعقب عليه يقرر أن فعل ضر إذا كان لازما كان معناه صار ضريرا أى أعمى ، ومصدره وهو الضرر لا يستعمل إلا فى العاهات كالعمى والزمانة . وقول الله تعالى «غير أولى الضرر» انما يريد بها من أم مكتوم وكان أعمى . أما الضر بالضم فهو ما يصيب النفس من مرض أو هزال كالذى أصاب أيوب وكشفه الله عنه ، وهو غير العاهة فتعقيب الأستاذ لا وجه له

رأى الرصافى فى مطران

كتب الأستاذ الفاضل منصور جاب الله فى العدد ٩٢٣ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة حول رأيه فى شعر خليل مطران ، ولم يكن رأى الأستاذ جاب الله بكراً فى هذا الموضوع ، إذ سبقه الشاعر معروف فى ذلك عندما سئل فى دمشق هل يضع الأستاذ المطران فى مصاف حافظ وشوقى؟ فأجاب (وضع المطران فى مصاف حافظ وشوق ، كوضع البحترى فى مصاف المتنبى وابى تمام ، أى نوع من ضعف الحكم ، هذا ما يلى به القارئون فى عصرنا هذا ، ولا نسبة أبداً بين طبقة حافظ وشوق وطبقة مطران ، كما لا نسبة بين المتنبى وأبى تمام وبين البحترى ، لأن هذا الأخير ليس أكثر من منمق ألفاظ)

بغداد **عبد الخالق عبد الرحمن**



قانصوه الغورى
سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

مهداة إلى حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الوهاب بك عزام

قانصوه الغورى أحد سلاطين مصر فى العصر المملوكى، ولى عرشها زهاء ستة عشر عاما بين سنتى ٩٠٦ هـ، ٩٢٢ هـ. وكان يوم ولايته كبير السن متأبيا على السلطنة. وامتلأت أيامه بالحوادث الكبرى فى داخل البلاد وخارجها. وفى أثنائها بلغ نشاط العثمانيين مبلغا عظيما، واتسعت أطماعهم حتى تطلعوا إلى امتلاك البلاد الشامية والمصرية. وقد خرج هذا السلطان الكبير لقتالهم بنفسه، ومعه حملة عظيمة الشأن. فاستشهد فى سبيل بلاده

ويرى القراء الكرام فيما يلى، وتحت العنوان المتقدم، تاريخ هذا السلطان الشهيد، وتاريخ مصر فى أيام حكمه. نقدمه إليهم فى أسلوب قصصى فيه تمثيل وحوار يلطفان من خشونة العرض العلمى السافر. وقد جهدنا ما استطعنا فى تصوير نزعات عصره من دينية أو سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو علمية، على مقدار ما تحتمله قصة صغيرة. ولم يلهنا خيال القصة عن تحرى وجه الصواب فى حقائق التاريخ. ولعلنا بذلك نقدم عملا متواضعا، يسفر منه تاريخ بلادنا العزيزة فى حقبة من أهم حقبه

يوم التولية:

ثار العسكر فى وجه سلطان البلاد الملك العادل فى آخر يوم من أيام رمضان عام ٩٠٦ هـ، حتى اضطر إلى الاختفاء. فسرى الخبر همسا بين القاهريين، أن بيعة سلطان جديد ستتم الليلة، إذ يجتمع الأمراء للمشاورة والاختيار. ومن ثم يقومون برسوم التولية فى صباح الغد، أول يوم من أيام عيد الفطر

وما كان أحب مجالس البيعة وأخبارها عند القاهريين، وما كان أبهج حفلات التولية ومواكبها لديهم

لذلك، مابزغت شمس الاثنين مستهل شوال، حتى بكر كثير من أهل القاهرة فى اليقظة، وأخذوا يعدون العدة ليمموا شطر القلعة، حيث تجرى البيعة ويسير موكب السلطان ليمتعوا العين بمرأى هذا السلطان الجديد، وليتبينوه من هو؟ ومن يكون ... ذلك لأنهم لم يكن لهم من أمر اختيار سلطانهم شىء.. واستبد بالأمر دونهم أمراء السلطنة الجراكسة، واستأثروا بالحكم فيهم، وقصروا على أنفسهم مسئولية اختيار السلطان. درج الشعب على هذا النظام، واستنام إليه، إن طوعا وإن كرها، تلك الحقبة الطويلة من الزمان

وما هو إلا قليل، حتى امتلأت الطرقات بالوافدين عليها من كل حدب وصوب. واكتظت الميادين بقصادها، واختلطت الجموع بالجموع، وتراصت الصفوف خلف الصفوف، فى أزياء فضفاضة، ذات أشكال متعددة، وألوان متباينة

وأخذ النسوة والعذارى يطرقن الطرق، أو يذرعن المسالك فى حللهن البهية، وأثوابهن الطلية. وتوارى بعضهن خلف السكوى والشرفات، يشرفن على الجمع من كثب، ويسترقن السمع والنظر، وتتنقل عيونهن بين الفرج، ليتمتعن كما يتمتع سائر الناس، بما ضرب من زينة عاجلة، وما أشيع من حفاوة مرتجلة، أمر بإقامتها التجار والصناع وأصحاب الحوانيت وملاك المنازل وسكانها، هنا وهناك

وبالقاهريين ومن حولهم من سكان الضواحى، شعور خفى يحفزهم إلى تعجل المسرة، واستدرار اللهو، واقتناص المتعة كلما سنحت فرصة لذلك، أو وجدوا إليه سبيلا. ولهذا عجلوا إلى تلك الزينات السريعة، ريثما يتم أمر التولية، استعدادا للقاء موكب السلطان. لعلهم بتلك المسرة المقتنصة يأسون جراح دهرهم العاسف، أو يطبون حظهم السقيم

ومهما يكن من شىء فهم على الأقل يودعون سلطانا بادت دولته وذهبت صولته، ويستقبلون آخر أشرقت أيامه وأهلت لياليه. لعل لهم فى ظله ما يحقق لهم آمالا جميلة، طالما غمرتهم أطيافها الحسناء فى أحلام يقظتهم، ولم يتحقق منها أمل فى

العصر البائد

على أنك ترى مرارة الحياة بادية على أحاديثهم ، واضحة فى محياهم ، يغشيها ستار رقيق من الأمل الحائل ، والرجاء المعسول . وهم ينفثونها أحيانا فى نقدة لاذعة ، أو يضمنونها فكاهة مرة ، أو تورية بارعة

لهذا يهرعون إلى الزينات — فى مثل هـذه المناسبة — فيضربونها ، وإلى الرايات فينصبونها

أنظر إذاً إلى الحوانيت ووجوهها ، والمنازل وجهاتها ، والمسالك وجوانبها ، فى أحياء القلعة وما حولها ، تر قطع الأقمشة من كل لون زاه ، قد تألفت طوائفها ، وتألقت طرائفها ، والثريات الزيتية منثورة ، زينة للنهار الحاشد المنتظر ، وعدة لليل الحافل المرتقب . والشعب مجتمع شمله ، ملتئمة صفوفه ، يسود بين أفراده لغط وضجيج ، وهمس وعجيج . بين أقاويل متشعبة ، فيها الصدق والكذب ، وفيها الحق والباطل ، وفيها العدل والجور . وهم ما بين لهج لاه بما هو فيه من نشوة وسرور ، سباق إلى اقتناص فرصته وبلوغ غايته ، ومتحدث رزين يرسل الحديث فى روية وبطء ، كأنما يقرأ فى سطور الحاضر مخبآت المستقبل ، وناقد يمتزج فى نفسه وحديثه ، النقد السطحى العابر ، بالرغبة الواهمة فى أن يأخذ من البهجة السائلة بنصيب ؛ وناقد آخر لاذع فى نقده ، جرىء فى لفتاته ، شجاع فى ملاحظاته

وبين هذه الجموع الضاجة وقف صديقان يسترقان النقاش ، وقد علا وجهيهما الجد ، واختلفا طربا وصخبا ، وخفة ولجاجة . وتقاتلا شعورا ورأيا ؛ واستطردا إلى أشياء فى الماضى ، وأمور فى الحاضر ، وآمال فى المستقبل

قال أحدهما لزميله :

— لله ما أبهى اليوم ، وما أجمل الساعة ! ها هم أولاء المماليك السلطانية قد انتشروا فى الطريق وهم شاكو السلاح ، ليعصموا اليوم من الفوضى ، ويشيعوا فى الموكب النظام

— أعلمت لهؤلاء نظاما ؟ أو نسيت عبث الجلبان والقرانصة ، وما بين الفريقين من عداوة وشحناء . إن هؤلاء وهم جنود الدولة ، مبعث الفوضى ، ومصدر السوء ، ومثار الفساد … هم عباد المال والشهوات . يبذلون للسلطان الطاعة والولاء ، ما دامت يداه تفيضان عليهم تبرا وذهبا وهاجا . ويفرق فوقهم شتى منحه وعطاياه ، ويفرق عليهم ما لذ من الطعام ، وما ثمن من الثياب ، وما فره من الخيل ، مزودة بما تحتاج إليه من أغذية وأردية . ثم يتنكرون له ، ويلبسون جلد النمر ، إذا تراخى فى عطائه ، أو ازورت عنهم دراهمه ودنانيره ، أو بدا لهم فى أفق السلطنة مانح جديد

ألم تشهد كيف غدروا بالملك العادل أمس ؟ وكيف خاسوا بعهده ؟ وكيف كادوا يبطشون به لولا فراره واختفاؤه ! إنهم بذلك يمهدون السبيل لأمير آخر من أصرائهم ، يسلمونه زمام السلطنة ، لقاء ما ينالونه على يديه من حظ جديد ! ثم ليتهم يستقيمون فى تأييدهم حتى تتم بيعة السلطان المختار بغير شغب أو نزاع … لقد بلغنى أمس أن الأمراء اجتمعوا للتشاور فى منزل الأتابكى قانصوه خمسمائة ، الذى لم يظهر من يوم اختفائه . وهذا المنزل فى قناطر السباع . وفى مقدمة الأمراء المتشاورين ، الأمير قيت الرجبى ، وقانصوه الغورى ، وطراباى ، ومصرباى . ثم انضم إليهم أخيرا الأتابكى تانى بك الجمالى الذى اختفى من وجه الملك العادل ، خوفا من أن يفتك به . فظهر أخيرا عندما سنحت له فرصة الظهور ، وانضم إلى الأمراء المتشاورين

واعتقادى أنه ما من أمير من هؤلاء إلا وهو يخطب السلطنة لنفسه ، ومن ورائه فئة من الجنود يؤيدونه … ومع ذلك قيل إنه تم اختيار تانى بك الجمالى للسلطنة ، ثم سرعان ما غدر به الجند ، ولم يرضوا بسلطنته ، فرجع الأمراء عن ترشيحه لها . وهكذا أفلت من يديه زمامها ، قبل أن تتم رسومها

واليوم تتردد الإشاعات أنها ستكون من نصيب الأمير قانصوه الغورى .. وهو على كل حال ، أمير طيب القلب بلغ من العمر ستين عاما . ومع ذلك لا يزال فتى النفس ، لم يبد فى شعر لحيته بياض مشيب

لكن ! أرأيت إلى أى حد يعبث هؤلاء المماليك بمصير مصر وشعبها ، بينما الشعب يغط فى نوم عميق ؟ لقد بلغنى منذ قليل أن عددا من أشرار المماليك الجلبان انتهز فرصة عيد الفطر

اليوم ، وانصراف الناس إلى الراحة والاستجمام ، أو التفرج بالزينة والموكب ، وعاثوا فى أسواق القاهرة فسادا ، وأحرقوا بعض الدور ، ونهبوا ما فيها . فهل ترجو من أمثال هؤلاء نظاما أو إصلاحا ؟

— صدقت فى حديثك ... ولكنهم — على أية حال — دعامة الدولة وسند السلطان . وهم حقا ضريبة من ضرائب الإهمال يفرضها الزمان علينا . غير أننا لا ننسى أنهم دفعوا العدو عن بلادنا زمنا طويلا . وحسبك ما مر من عشرات السنين كان للفرنجة فى بلادنا مآرب لا تنقضى ، وكان للتتار مآرب أخرى . فوقف لهم هؤلاء الأبطال ، وأوقعوا بهم فى مواقع عدة . ففروا إلى حيث أتوا ، مزودين بالهزيمة والاندحار

— نعم ! ولكن لنا القشر ولهم اللباب . لعلك نسيت مسلكهم الشائن معنا نحن أهل القاهرة . إنهم كانوا — وما زالوا — يهتكون فينا ويسلبون منا . ثم هم إنما يمثلون الفتن والقلاقل والدماء المسفوكة ، والأشلاء المتطايرة والسجن والتشريد ...

إن حياتهم ملأى بكل هذا العذاب ، ما بين سيد فيهم ومسود ، وظالم منهم ومظلوم ، وحاقد بينهم ومحقود عليه ... هذه هى سياستهم وسياسة أمرائهم وكبرائهم ... ألا تمسا الحياة تغلى بكل هذا الشقاء .. !

— ليست هذه الحالة دائمة بينهم ، وكأننى أراك تقرأ تاريخهم من حاضرهم فحسب .. لعلك من أولئك الذين وهب لهم حس مرهف ونفس مستوفزة ، تطن فيها الأحداث الحاضرة ، حتى تملأ أذنيها . فلا تسمع بعد أى صوت من أصوات الماضى ...

لقد كان الجنود المماليك فى عصر المنصور قلاوون يعيشون على خير نظام وفى أجمل هندام . فقد وضع لهم هذا السلطان العظيم قواعد للتربية قويمة ، وأخذهم بها دون لين أو هوادة أو مهادنة . فرباهم فى طباق القلعة وأبراجها . ووكل أمرهم إلى الحذاق من الزماميين . وفرض عليهم التمرينات العسكرية والرياضية القاسية ، وعنى بطعامهم وشرابهم ولباسهم . وكان يشرف على كل أولئك بنفسه ، فشبوا رجال خلق كريم ، ونفس قويمة ، ودين سليم . ولم يكن يسمح لهم بالاختلاط بغيرهم من الطوائف حفظا لهم من عدوى الأخلاق

— حقا لقد رباهم المنصور تربية محمودة ، ونشأهم تنشئة حسنة ، ولكن سرعان ما عدل السلاطين من بعده عن نهجه ، واتباع سبيله ، ففتر هذا النظام وقلت تلك العناية ، وفرط السلاطين فى إعدادهم ، حتى أصبحوا من بعد ، وليس لهم نظام متسق ، ولا تربية محمودة ، ولا خلق كريم ، ولا نفس طيبة ، حتى صاروا : « أرذل الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشحهم نفسا ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضا عن الدين . ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد ، وألص من فأرة ، وأفسد من ذئب . »

— إنك متجن عليهم أيها الصديق ! ألا تدرى أنهم لنا حمى ، ولحياتنا مجن ؟ إننا ننعم بسلام فى بيوتنا ، وأمن فى دروبنا ، على حساب ما يبذله هؤلاء الشجعان من أرواح . حقا يسرف أمراؤهم وسلاطينهم فى فرض الضرائب على الشعب ، ويثقلون كاهله بالنفقات إزاء خدماتهم . ولكنهم إزاء ذلك أراحونا من شر القتال ، وأخذوا على عاتقهم حمايتنا من شرور الأعداء .

ثم ما بالك تذكر سيئات أشرارهم وهنات صغارهم ، وتنسى حسنات أخيارهم ، ومحامد كبارهم ؟ إن كثيرا من سلاطينهم وأمرائهم ينقادون للدين ، وينطوون تحت أحكامه ، ويعظمون أهله ، وينشئون المساجد للعبادة ، والمدارس للتعليم ، ويدرون أخلاف الخير وضروع البر على المحتاجين من طلاب العلم وغيرهم . وذلك كله جدير بأن يطلق الألسنة لهم بالدعاء والثناء

— إنك يا صاح انحدرت من حديث الرجال إلى أسلوب النساء ... ! ففى معانيك الضعف والضعة ، وفى أفكارك الخور والجبن ! حسبك عارا أنك تذكر حمايتهم لك من الأعداء ... وفى الحق أنهم يحمون أنفسهم لا يحمونك أنت ، ويدفعون عن ملكهم لا يدفعون عنك أنت . ولنتنزل على منطقك وتقول إنهم يحمونك ... ولكن أتدرى كيف ذلك ، ولماذا ؟ . إنهم يحمونك كما يحمى الراعى بقرته خوفا على لبنها أن ينضب ، وحرصا على جسدها أن يخور ويبلى . وهم قبل ذلك وبعد ذلك ، سادتك ! لا تقعد منهم إلا مقعد العبد ... فهل بعد ذلك ذلة للرجال؟ اطلب

إليهم أن يتركوا لك حماية نفسك بنفسك .. فهل تراهم يجيبونك إلى سؤلك ؟ ويجيزون لك أن تحمل السلاح وأن تنخرط فى الجيش ؟ . كلا ! وكأنما الجندية هبة اختصهم الله بها دون سائر أفراد الشعب وكأنما الروح العسكرية والحمية الوطنية وقف عليهم ، وصفة ما خلقت إلا فيهم ، ونزعة ما عرفت إلا لهم .

أما أنت وأمثالك فلا تصلحون — فى نظرهم — للكر ، وإنما تصلحون للحلاب والصر ... لقد حرمونا دخول الجيش ، وحرموه علينا ، ولم يتصلوا بنا إلا اتصال السيد بالمسود . وكفى بذلك هوانا ... فأية عزة ترقبها لبلادك على يد هؤلاء الغرباء الفاليك المستبدين الذين لم تجمعهم بالبلاد جامعة جنس ولا نسب ولالغة ولاألفة ولاعطف .. ثم هم لا يجمع بعضهم ببعض إلا أخوة فى رق ، أو اتفاق فى ضغينة ، أو ائتلاف فى فتنة ، أو التماس لمكيدة ، أو ائتمار على غدر ... أغلب ظنى أن ما بناه أسلافهم من عز وسؤدد ، سيهدمه هؤلاء الجلبان وهؤلاء القرانصة ، ومن لف لفهم من هذا الخليط الدنس من أوشاب الأمم الذى تعج به بلادنا المنكودة . ألا تبالهم وقبحا وسحقاء !

أما ما تتشدق به من مساجد ودور تعليم فحسبي أن أقول لك إنهم يبذلون فى سبيل ذلك ، على أنه منحة منهم للشعب وصدقة عليه ، لا على أنه حق للشعب قبلهم يؤدونه إليه ...

ألا دعنا من هرائك وسفسطتك ! وقل لى كم رجلا فى بلادنا يغار عليها غيرتك ، ويخلص لها مثل إخلاصك ؟ وكم فتى من فتيانها يحدب عليها كل هذا الحدب ، وتتقطع نفسه عليها أسى ، وتذهب حسرات ، كما تتقطع نفسك وتذهب ؟ وكم قلب بين قلوب بنيها يفيض عليها إشفاقا كما يفيض قلبك ؟

لشد ما أنا لم لأجلك .. لما لك من إحساس مرهف ونفس شاعرة !

اترك المستقبل لأهله ، فليس علينا حمل أعبائه وهمومه . وحسبنا ما نحن فيه من حاضر غمم بحوادثه وآلامه ... ولنخفف عن النفس أحزانها بما نراه من بهجة وزينة ...لننس ماقى طواياك من هم . ولمرح ببصرك فى محاسن هذا اليوم ، واقبس ما تشاء وتشتهى من مفاتنه . ثم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ..

انظر إلى أثواب الجند الزاهية الألاقة ، وإلى وجوه الناس الباسمة المشرقة ، وإلى الحسان الفاتنات يرحن ويغدون فى حللهن الأنيقة البراقة . وإلى الأطفال الذاهلين عن عيد الفطر ، فقد غمرهم عيد التولية بموجة من موجات فرحه ، ألا تخبرنى من سيكون السلطان ؟ ومن سينال شرف السلطنة اليوم ؟.

واألماه ! تدعونى إلى أن أنسى المستقبل ، ولا أفكر فيه .. ألا تعلم أن الدعوة إلى إهمال المستقبل وترك الاهتمام بمصير البلاد هى الأنشودة البائسة الحزينة ، التى ترتلها الأمة المنكوبة الخائرة كلما أحست بضعفها .. وأرادت أن تتلهى عنه وتخدع نفسها . .

لو اهتم بأمرنا من سبقنا من الآباء والأجداد لاعتدلت لنا ريح حاضرنا ونعمنا فيه بشيء من صفو الحياة . ومادام كل جيل يسلم إلى الأقدار مستقبل بلاده ، ويهمله ، فستتلقفه الأحداث والغير ، وتلقيه بين يدى مستبد ، وإلى كف طاغية ، وتتنقل به من بؤس ، إلى بؤس ، حتى تتقلب أجيالا فى شقاء الحرمان أمدا طويلا ....

أما سلطان اليوم فأظنه قانصوه الغورى — كما تردد الألسنة — لقد رشحه للسلطنة ، كما ذكرت لك ، كبر سنه ، وطيب نفسه وعيوفه عن السلطنة . . . وهذه وسيلة بارعة من وسائل اقتناصها . . . لقد قيل إنه رفضها وأباها . ولو ظهر امس الأتابكى قانصوه خمسمائة ، من اختفائه ، لكانت السلطنة من نصيبه ولولا فساد قلوب الجند على الأتابكى تانى بك الجالى ، لظفر بها أمس وتمت بيمته ....

ألا قبح الله الملك العادل السفاك ! من غريب ما يروى عنه أن المنجمين أخبروه أن السلطنة يسلبها منه أمير يبدأ اسمه بحرف « ق » فظنه صديقه « قصروه » فبطش به وقتله ظلما ، بعد أن أبلى قصروه البلاء الحسن فى معاونته على الوصول إلى السلطنة .. ولم يحسب العادل حسابا لقاف أخرى تبدو فى الأفق . ولله ! ما أكثر القافات فى بلدنا .. !

* * *

انقطع الجدل بين الصديقين على أثر موجة جارفة من الضجيج تنتشر باقتراب موكب السلطان .

بدت طلائع الموكب . وكان الأمراء منذ قليل يشتورون فى الحراقة بباب السلسلة بالقلعة . فتم رأيهم على اختيار الأمير قانصوه الغورى سلطانا على البلاد بعد فرار الملك العادل وإعلان خلعه

ولقد تعصب للغورى الأميران : قيت الرجبى ، ومصرباى . فبكى الغورى وأبى قبول السلطنة معتذرا بكبر سنه . فاستلانوه إليها بشتى وسائل خداعهم ، حتى رضى بها مشفقا منها . وقد أعدوا له البيعة ، فبايعه الخليفة ووكل إليه – كالمعتاد – أمور السلطنة ثم بايعه القضاة . ولقب بالملك الأشرف . فذاع لقبه بين الجموع الحاشدة ، وهيأوا ركبه ليسير من الحراقة إلى باب السر بالقصر الكبير ، حيث يقدم له الأمراء واجب الطاعة والولاء

لبس الغورى شعار السلطنة – ملابسها الرسمية – وهى جبة وعمامة سوداء . وامتطى صهوة فرس مسرج بالذهب . وأخذ فى المسير تتقدمه شراذم من الجند فى أزيائهم الرسمية وأسلحتهم المجلوة . وتقدم الأمير قيت الرجبى ، وحمل بنفسه شعاراً آخر للسلطنة ، تبجيلا للسلطان وتعظيما لشأنه . ويتألف هذا الشعار من قبة من حرير ثمين تنشر فوق رأس السلطان وقت المسير ، كأنها مظلة . وفوقها طائر من الذهب . وركب إلى يمين السلطان، خليفة العصر ، وهو المتمسك بالله يعقوب العباسى، وبين يديهم الأمراء يسيرون بشاشهم وقماشهم – أزيائهم الرسمية – فى ألوان زاهية وفوق جياد محلاة

وبدت طلعة السلطان لشعبه ، فدوى صوته هاتفا « نصر الله السلطان الأشرف » ، « أعز الله الإسلام » وانطلقت من خلف الكوى وصوب الطيقان زغاريد النسوة تشق أطباق الفضاء ، فرحة مستبشرة تؤذن بطلوع عهد جديد ...

وكان الشعب يلمح بفراسته الساذجة الصادقة على محيا السلطان الجديد ، جملة من المعانى المتضادة المتمازجة ، فيها الشعور بالألم للماضى ، وما كان فيه من مشاحنات ، وما أبقى من تراث، وفيها الإشفاق من المستقبل وما يخبئ من مفاجآت فى طياته . وفيها عزيمة حادة جادة وتصميم على المجاهدة والمجالدة ، والعمل على رفاهة مصر وشعبها ، وإعلاء شأنها عند غيرها من الأمم ، والمحافظة على نفوذها الأدبى والسياسى ، كل ذلك تغشيه موجة من الفرح العابر ، لا تكاد تستر من معالمه شيئا ، ولا تخفى من آياته قليلا .

كان أفراد من الشاهدين يرقبون هذه المظاهر ، ويلمحون هذه المعانى ، فيفاجئ بعضهم بعضا بما يفطن إليه منها . ثم انثنوا بين مثن وناقد . على أن الحوادث كانت تمر بهم ولا أثر لهم فى مسلكها ، بيد أنها لا تتركهم إلا بمرارة لاذعة تتوطن النفوس وتتقمد غوارب القلوب ، وهم لا يملكون لوقعها تخفيفا

* * *

استقر ركب السلطان الغورى بالقلعة ، فجلس على سرير الملك ، وقبل الأمراء الأرض بين يديه . فأفاض عليهم خلعه ومنحه ، من أقمشة نفيسة وأردية غالية ، ومناصب سامية . وكلما أفاض على أحدهم شيئا ، جأر له بالدعاء . وانصرف حامدا إلى داره فى موكب حافل

تتابعت على هذا النسق مواكب الخليفة والأمراء . وكانت مجالا لمسرة الناس وابتهاجهم . ونودى للسلطان فى أرجاء القاهرة ، فأقامت المدينة بقية نهارها وعامة ليلها فى مرح ساهر وزينة حافلة . وكأن اليوم فيه عيدان لا عيد واحد

محمود رزق سليم

مطبعة الرسالة